الغزو المغولي للعراق سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)
حقائق وأوهام

يوسف الهادي *

نشرت مجلة (المورد) التراثية الغرَّاء (العدد الأول لسنة ٢٠١٣م) مقالاً تحت عنوان (احتلال بغداد ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، بقلم الدكتور محمد حسن سهيل والأستاذ محمود محسن داود، الأستاذين في قسم التاريخ بكلية التربية الأساسية في الجامعة المستنصرية؛ و لما كانا يتناولان الموضوع نفسه الذي تناولناه في كتابنا إعادة كتابة التاريخ، الغزو المغولي للعراق إنموذجاً[1]؛ فقد رأينا فيه ما يمكن أن يكون مادة للنقاش نرجو أن يتسع لها صدرا هذين الأستاذين الفاضلين.

وأبرز ما يبدو واضحاً للعيان في مقال هذين الأستاذين الكريمين، أنهما استندا بكثرة إلى مراجع معاصرة وأهملا ـ بصورة أَخلَّت بمصداقية بحثهما ـ المصادرَ الأصيلة. وهذا أمر ما كنا نتوقع صدوره من أستاذين يعيشان حقاً ثورة المعلوماتية حيث يمكنهما معرفة أحدث الإصدارات في الموضوع الذي يكتبان فيه، فضلاً عن أن بعض تلك المصادر قد أغار عليها قراصنة الإنترنت فنشروها بنظام الـ «PDF»، وبإمكان الأستاذين أن يستنسخا ما هو متوفر منها بهذا النظام. بل إننا وجدنا بحثهما لم يستفد حتى من ميزة جهاز الحاسوب التي يساعد فيها على ترتيب المصادر والمراجع ترتيباً ألفبائياً (مع بعض التعديلات)، لذا فقد كتبا قائمة المصادر والمراجع في آخر بحثهما كيفما اتفق، حيث نجد مثلاً ابن واصل قبل ابن الأثير، وابن الفوطي قبل ابن العبري، وأبا العينين بعد القزاز...، وهكذا بقية القائمة.

---

* باحث في شؤون التاريخ والتراث الإسلامي/العراق.

لقد تركَ الباحثان الكريمان التنقيب في مصادر تتبـادر أسـماؤها إلى الذهـن حـين التفكير في بحـث كهـذا، ونعني بذلك مـا دأب كاتب هذه السطور على تسـميته كتابات «المثلث الذهبي لمؤرخـي بغـداد»، الذين شـكَّلوا ما سـمَّيناه «الروايـة البغدادية عن الغزو المغولي للعراق»، وهـي الروايـة الحقيقية التـي رأى مؤرخوها الوقائع رأي العين واكتووا بنارها، وأردنا بهذه التسـمية أن نميِّزهـا عن «الرواية الشـامية/ المصرية»المختَلقة التي اسـتندت إلى الإشاعات وكُتبـت بأقـلام مؤرخين جـاؤوا بعـد الغزو المغـولي للعراق بعقـود، وبعضهم وُلِـدَ بعده بقرون، بل لم يصِلـوا إلى بغداد أمثال الذهبي وابن كثير وابن شـاكر والسـبكي وابن تغري بـردي...، ممـن كتبوا حقاً أشـياء زائفة حول الغزو المغولي للعراق بشتى دوافع التعصُّب.

● **المثلث الذهبي لمؤرِّخي بغداد**

هم ثلاثة من المؤرخين البغداديين المتعاصرين المرتبطين بروابط الرواية عن بعضهم والعمل، ويمكن أن ندعوهم بحقّ جيل عمالقة مؤرخي بغداد، وقد هُيِّئ لهم من ظروف الكتابة في المجال التأريخي ما نَدَرَ أن يُهَيَّأ لغيرهم؛ وُلِدوا في بغداد حاضرة الخلافة العباسية وعاشوا في ظل حكوماتها التي حاقت بها الأهوال، وكانوا فيها ساعة اقتحام المغول لمدينتهم ورأوا فظائع ما فعلوه فيها؛ ثم عاشوا في ظل الحكم المغولي، وماتوا ودُفنوا في أرض بغداد، بل إن أحدهم (ابن الفوطي) وقع في أسر المغول هو وأخوه خلال الواقعة؛ وهؤلاء المؤرخون هم:

- علي بن أنجب ابن الساعي البغدادي الشافعي (٥٩٣ ـ ٦٧٤هـ).

-ظهير الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بابن الكازروني الشافعي (٦١١ ـ ٦٩٧هـ).

-عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني البغدادي الحنبلي (محرَّم ٦٤٢ ـ محرَّم ٧٢٣هـ).

لقـد وفَّر لنا هذا «الثالـوث التاريخي» فرصة ذهبية لمعرفة حقيقة ما جرى في تلك السنوات السُّـود، برغم ضياع أغلـب مؤلفاتهم وامتناع كثير من المؤرخين المتأخرين عن النقل مما كان بـين أيديهم مـن آثارهم، حين اكتشـفوا أن ما فيها لا يتفـق والرؤية التقليدية التي توارثوها ودأبوا على استنساخها وتَكرارها. لكن المعثور عليه من مؤلفاتهم والشـذرات الباقية المتناثرة منها في المصـادر، كان كافياً ليقـدَّم لنا رواية جديدة متماسكة تنير زوايا ظلَّت مظلمة قروناً عديدة بشأن واقعة الاحتلال المغولي لبغداد.

إن البحـث عـن النصـوص التي كتبهـا هؤلاء بحاجة إلى بحث وتنقيب مما يسـتغرق بعض الوقـت، وهذا عمـل لا يروق لكثير مـن الكتَّاب مِمَّن يجعل همَّه في أن ينجز مقالة أو كتاباً حول هـذه الواقعة بأن يمـد يده إلى أقـرب المصادر كالذهبـي وابـن كثـير وابن شـاكر والصفدي الذين تناقلوا رواية واحدة من بعضهم البعض أو استنسـخوها، بـل كان بعضهـم يحذف ما يشـاء منها أو يزيد فيها على هـواه مما فصَّلنا أنموذجات منه في كتابنا (إعادة كتابة التاريخ)، وظلـت هي الرواية الرسـمية حتـى يومنا هذا برغم تهافتها.

● **سلمان التكريتي وبؤس الكتابة التاريخية**

من أهم المراجع التي استند إليها كاتبانا الفاضلان، كتاب المؤلف العراقي السيِّد سلمان التكريتي الذي عنوانه (**بغداد مدينة السلام**

وغزو المغول)، وتحته عنوان فرعي طويل هو: دراسة تاريخية تحليلية للصراع السياسي لاحتلال بغداد وإسقاط الخلافة العباسية وإزالة السيادة العربية وقمع الحضارة الإسلامية، وأضواء على خيانة ابن العَلْقَمِيّ. وهو كتاب صدر سنة ١٩٨٨م، أي السنة الأخيرة من الحرب الإيرانية/ العراقية، وكانت وسائل الإعلام الرسمية منهمكة بتوفير الدعم والدعاية لتلك الحرب؛ ولذا جاء هذا الكتاب مشحوناً بالهتافات، وصبِّ اللعنات، والاتهام بالخيانة لهذا الطرف أو ذاك، مع أن هذا الكاتب ـ وهو يبحث الغزو المغولي للعراق بقيادة هولاكو ـ لم يكن يعرف مَن هو هولاكو ولا الزمنَ الذي عاش فيه؛ وكان ينقل من كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني، وهو لا يعلم مَن هو رشيد الدين ولا الزمنَ الذي عاش فيه.

الأستاذ التكريتي لا يعرف مثلاً أن هولاكو هو حفيد جنكيز خان (وهو هولاكو بن تولي (أو: طولي) بن جنكيز خان)، فقد تصوَّره مرَّةً أنه نجل جنكيز خان فقال: «إقامة جنكيز خان سنة ٦٠٦هـ في همذان[٢]، ومن بعد وصول هولاكو إلى سُدَّة السلطنة المغولية التترية بعد وفاة والده جنكيز خان»[٣]، و أخرى من ذُرِّيَّته بلا تحديد فقال: «هولاكو وهو من ذرية جنكيز خان» [٤]، ثم عاد ليقول إنه ابنه: «جنكيز خان ومن بعده ابنه هولاكو» [٥]، وقال: «جنكيز خان وابنه هولاكو»[٦]. مع أنه نقل نصاً من القلقشندي كان فيه اسم هولاكو ونسبه صحيحاً (هولاكو بن طولي بن جنكيزخان) [٧]، لكنه نقله وغفل عنه.

أما معلوماته عن مؤلف جامع التواريخ رشيد الدين الهمذاني (٦٤٨ ـ ٧١٨هـ)، فهي مغلوطة أيضاً، حيث تصوَّر أنه عاش في عصر جنكيز خان (ولد سنة ٥٤٩هـ ومات سنة ٦٢٤هـ[٨]، وحَكَمَ خلال السنوات ٦٠٠ ـ ٦٢٤هـ)، وفي عصر هولاكو[٩] الذي تصوَّر السيِّد التكريتي أنه ابن جنكيز خان (!!). يقول الأستاذ التكريتي: «رشيد الدين الهمداني وزير هولاكو ومؤرخ تاريخ المغول»[١٠].وقال: «وزير هولاكو الاول»[١١] ، وقال: «عاش (أي رشيد الدين) في ظلال حكومة جنكيز خان وابنه هولاكو» [١٢]. وقال: «هو أيضاً مرافق هولاكو ووزيره ورئيس حكومته، وكاتبه أيضاً ومؤرخ تاريخ حملته» [١٣]. وقال «وزير هولاكو، رشيدالدين»[١٤] وقال: «رشيد الدين الهمذاني مرافق هولاكو ومؤرخ رحلته الغازية» [١٥]. كما اعتقد أن رشيد الدين كان على علاقة بالوزير ابن العَلْقَمِيّ الذي كان يفشي له بعض أسرار الدولة فيدوِّنها في تأريخه [١٦]. وأن الصلة بينهما كانت حميمية، فرشيد الدين «مشبَّع بأفكار ابن العلقمي والجواسيس التجار وعناصر الرتل الخامس؛ وقد عرفَ هذا الهمذاني أنَّ هناك مؤامرة لخلع الخليفة المستعصم بالله، واتِّهاماً لابن العلقمي بالتجسس لحساب هولاكو، وهذه المعرفة ـ سواء كانت حقيقية أو كاذبة ـ تكون قد وَصَلَته من ابن العلقمي نفسه بمقتضى الصلة الحميمية التي جَمَعَتْهما والهدف المشترك الذي يربطهما لإسقاط الخلافة العباسية»[١٧].

وهذا كلام لا علاقة له إطلاقاً بالتاريخ: فرشيد الدين وُلِد سنة ٦٤٨هـ، وقُتل

سنة ٧١٨هـ[١٨].

ولذا فهو لم يَعِشْ في عهد جنكيز خان.

ولم يكن وزيراً لدى هولاكو ولا مؤرخاً لحملته، ولم يأتِ معه إلى بغداد.

ولم يعاصر الخليفةَ المستعصم بالله.

ولم يعاصر الوزيرَ ابن العَلْقَمِيّ.

الصواب هو أن رشيد الدين كان وزيراً وطبيباً لدى ثلاثة من الملوك المغول هم:

١. غازان بن أرغون بن آباقا بن هولاكو، الذي أَسلمَ وسُمِّيَ محموداً (حكم من ٦٩٤ ــ ٧٠٣هـ)، وهو ابن حفيد هولاكو.

٢. محمد خُدَابَنْده أولجايتو بن أرغون (حكم من ٧٠٣ ــ ٧١٦هـ)[١٩].

٣. أبو سعيد بن محمد خُدَا بَنْده أولجايتو (حكم من ٧١٧ ــ ٧٣٦هـ).

● الوزير ابن العلقمي (٥٩٣ ـ ٦٥٦هـ) عربيٌّ صَليبةً

كان همُّ الأستاذ التكريتي أن يكرِّر بأن الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي كان خائناً، وأنه كان فارسياً، ولقد كرَّر مراتٍ مسألة كونه فارسياً حاقداً «يتذكر السيادة الفارسية الزائلة، ويرى بأم عينيه السيادة العربية الناشرة جناحيها على العالم»[٢٠]، وأن ما قام به إنما كان «ليحقق المجد الفارسي»[٢١]، وقال مرةً إنه «أسديٌّ بالولاء»[٢٢]، وقال ثالثةً إنه «فارسي الأصل، ولم يكن عربياً ولا بالولاء»[٢٣]؛ثم ظل بين صفحة وأخرى يذكِّر قراءه بصورة ملفتة للنظر بأن هذا الوزير كان فارسياً[٢٤]؛ لكننا نعلم علم اليقين أن ابن العلقمي ليس فارسياً، بل هو عربيٌّ صليبةً، والغريب أن التكريتي استفاد من كتاب الفخري لابن الطقطقي الذي ترجمَ الوزيرَ ابنَ العلقمي لكنه تغاضى عن ترجمته وذهب ينقلها من مؤلفات كتَّاب متأخرين عن زمن الغزو المغولي. يقول ابن الطقطقى في ترجمته: « هو أَسَدِيٌّ من النيل، وقيل لجده العَلْقَميّ لأنه حَفَرَ النهرَ المسمَّى بالعَلْقَميّ»[٢٥]. فهو من قبيلة بني أسد العربية في انتمائه العشائري، فضلاً عن إضافة نسبة العلقمي إليه؛ وإنما تمسَّك أفراد أُسرته بهذا اللقب (العلقمي) افتخاراً منهم بأنَّ حَفْرَ جَدِّهم لهذا النهر هو أمر يَتشرَّف به الأولاد والأحفاد حين ينتسبون إلى مَن أجرى ماء هذا النهر للوافدين إلى زيارة الإمام الحسين (ع) في كربلاء. وكان باقي أفراد أسرته يحملون لقب الأَسَديّ أيضاً نسبةً إلى قبيلة بني أَسَد ـ التي ما زال كثير من أبنائها يقيمون في هذه المنطقة وما جاورها حتى يومنا هذا ـ وكان من مدينة النِّيل وهي «بُليدة في سواد الكوفة قرب الحلة»[٢٦]، وهو من أسرة شيعية إمامية المذهب. وصف معاصره ابن الفوطي أُسرتَه بأنها «بيت الولاية والوزارة والرياسة، والتقدم والسياسة»[٢٧]. وكان شقيقه علم الدين «جليلَ القدر، نبيهَ الذِّكر، كثيرَ الخيرات، دارَّ الصِّلات»[٢٨]. وكان نجله عز الدين أديباً شاعراً و «كاتباً منشئاً بليغاً»[٢٩]. ويقول الأشرف الغساني الذي دأب على النقل من مؤرخ العراق ابن الساعي وهو يختصر أخلاق الوزير ابن العلقمي: «كان عالماً أديباً حَسَنَ المحاضرة، دمثَ الأخلاق، كريم الطباع، خيِّرَ النفس، كارهاً للظلم، خبيراً بتدبير المُلْك، لم يباشر قلعَ بيتٍ ولا استئصالَ مالٍ»[٣٠].

ووصفه العالِم والمؤرخ سبطُ ابنِ الجوزي

الحنبلي ثم الحنفي (٤٦٥ ـ ٦٥٤هـ) ـ وقد لازمه خلال إقامته ببغداد من رمضان سنة ٦٤٤ حتى صفر ٦٤٥، أي ما يزيد على خمسة أشهر ولم يذكر ما يشينه ـ فقال: «كان رجلاً فاضلاً صالحاً عفيفاً ديِّناً قارئاً للقرآن»[٣١]، وأضاف: «وما زلتُ مع وزير الخليفة أدام الله سعده حتى خرجنا من بغداد في صفر سنة ٦٤٥»[٣٢].

وقال ابن الطِّقْطَقَى بعد أن تحدث عن أمانته: «كان مؤيد الدين الوزير عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية، متنزِّهاً مترفعاً»، ثم أورد قصة تعزز قوله في أمانته ونزاهته عن قبول هديَّة كان أرسلها إليه بدر الدين لؤلؤ ملك الموصل، وحين قَبلَها أرسلَ بإزائها إلى بدر الدين أضعافاً مضاعفةً من الأموال والهدايا «والتمس منه أن لا يهدي إليه شيئاً بعد ذلك»[٣٣].

ويذكر ابن الطِّقْطَقَى أنه كان يترقب أن يُعزَل من وظيفته في أي لحظة، فيقول: «كان من أعيان الناس وعقلاء الرجال، وكان مكفوفَ اليد، مردودَ القول، يترقب العزلَ والقبض صباح مساء». وفسَّر ذلك بحسد كبار المسؤولين في ديوان الخليفة له مما أدى بالخليفة إلى نزع يده عن أكثر الصلاحيات التي كان ينبغي له أن يخوِّله بممارستها، فقال: «وكان خواص الخليفة جميعهم يكرهونه ويحسدونه، وكان الخليفة المستعصم يعتقد فيه ويحبه، وكثروا عليه عنده، فكفَّ يده عن أكثر الأمور»[٣٤]. ويشير هذا إلى ضخامة الدسائس التي كانت تحيط به. وهو ما يؤيده الإيجي بقوله: «كان مكفوفَ اليد، مردودَ القول، يترقب العزلَ والقبض عليه»[٣٥]. وكانت علاقته بالخليفة المستعصم طيبة جداً، وكان هناك احترام متبادل بين الاثنين، وكانا يتبادلان الهدايا والرسائل الودِّية، وكان الخليفة يهدي إليه الهدايا بين الفينة والفينة[٣٦].

وكان هو بدوره يبادل الخليفةَ وأفراد أسرته الحب والإجلال. بل إن الخليفة كان يكرم أحياناً أناساً احتراماً لعلاقتهم بابن العَلْقَمِيّ[٣٧]. ويبدو أن كلام ابن الطقطقى الإيجابي بحق ابن العلقمي هو الذي دعا الأستاذ سلمان التكريتي إلى القول «معروفٌ أن ابن الطقطقى فارسيٌّ وليس بعربي» (ص ١٩٧). مع أن ابن الطقطقى من مدينة الحلة العراقية، وهو سيِّد يرجع في نسبه إلى رسول الله (ص)، وهو «حِلِّي الأصل والمولد والمنشأ، فأبوه علوي حسني طباطبائي، وأُمُّه علوية حسينية موسوية»[٣٨].

وفي المواقف الحاسمة كان الخليفةُ يأمره فيطيع. فحين وقف هولاكو على أسوار بغداد وطلب إلى الخليفة أن يرسل إليه قيادات الدولة: القائدينِ العسكريينِ الدويدار الصغير وسليمان شاه والوزير ابن العلقمي ليتفاوض معهم، ولم تكن للخليفة سلطة على القائد العام للقوات المسلحة الدُّوَيْدار الصغير وكان يخشى سطوته خشية حقيقية، ولا على القائد العسكري سليمان شاه الذي كان عدد أتباعه من أقاربه فحسب يبلغ سبع مئة، فقد اتَّجه إلى وزيره ابن العَلْقَمِيّ ليقنعه بالذهاب رسولاً قائلاً: «قد أنفذَ السلطانُ (هولاكو) يطلبُكَ وينبغي أن تخرج إليه. فخرج الوزيرُ من ذلك[٣٩]، وقال: يا مولانا إذا خرجت فمن يدبِّر البلد ومن يتولى المهام؟ فقال له الخليفة : لا بدَّ أن تخرج»[٤٠]، فوافق؛ فأرسله الخليفة مراتٍ مع آخرين من كبار شخصيات بلاطه أمثال نجله عبد الرحمن وصاحب الديوان ابن الدامغاني[٤١]، وشرف الدين ابن

الجوزي[٤٢]،ومستشاره الأول ابن الدرنوس، وكذلك جاثليق النصارى[٤٣]، لكون زوجة هولاكو نصرانية.

وإنما حاول ابن العلقمي عدم الذهاب إلى هولاكو بمفرده، لعلمه أنه سيُتَّهم بالتواطؤ معه؛ وهو أمر وجدناه في واقعة حدثت سنة ٦٣٥هـ على عهد الخليفة المستنصر حين وصل المغول إلى «قريب بغداد»، أو «تخوم بغداد إلى موضع يسمى زنكاباد[٤٤] وإلى سُرَّ مَرَّأى»، فقاتلهم جيش الخلافة وانتصر عليهم لكنهم عادوا آخر تلك السنة وألحقوا بالجيش العباسي هزيمة مريرة قتلوا فيها حشوداً منه[٤٥]. ولما لم تكن القوات كافية للدفاع عنها «وخيف على بيضة الإسلام»، اقترح العالم الإمامي الشهير رضي الدين ابن طاووس أن يذهب إلى المغول للتفاوض معهم شريطة أن لا يكون وحده بل ضمن وفد، وفسَّر ذلك بقوله لحاشية البلاط: «ثم لو توجَّهتُ كان بَعدي مِن الحُسَّاد مَن يقول لكم: إنه يبايع ملك التتر ويجيء به إلى هذه البلاد؛ وتصدِّقونه، وتصير هِمَّتُكم في إنفاذ مَن يقتلُني بالسُّمِّ وغيره»[٤٦].

شغل ابن العلقمي على عهد المستنصر مناصب رفيعة في بلاط الخلافة، كما كلَّفه بالإشراف على بناء الصرح العلمي الشامخ المدرسة المستنصرية فقام بالعمل خير قيام حتى كمل بناؤها وافتتحت في ٦٣١هـ، وقد خَلَعَ الخليفة عليه وعلى شقيقه وعلى كبار من أشرفوا على هذا العمل[٤٧].

وكنا نتمنى لو أن الأستاذين محمد حسن سهيل ومحمود محسن داود المنتمين إلى الجامعة المستنصرية ـ التي تحمل ذكريات من جهود ابن العلقمي في الإشراف على بنائها ـ كانا وفيين لذكرى هذا الوزير المخلص للخليفتين المستنصر والمستعصم.

ولما كانت وظيفة ابن العلقمي مدنيةً وليست لديه مجموعة عسكرية تسنده، ظل موقفه ضعيفاً طوال فترة إدارته الأمور، وكانت لديه قوة حماية صغيرة من الأتراك وحين يحدث توتر بينه وبين الدويدار الصغير كانوا يتخلَّون عنه وينضمُّون إلى زملائهم الأتراك ممن مع الدويدار[٤٨].

وإذا قارنَّا بين وظيفة الوزير ووظيفة صاحب الديوان رجح هذا أضعافاً عليه، فهو «صدر صدور الإسلام، وخالصة الإمام [المستعصم]، وسيد أصحاب الأقلام؛ وصاحب البلاد، والمؤتمن على الطارف والتِّلاد؛ والحاكم في السهل والجبل، المُطاع إنْ قال أو فَعَل؛ لا يُدْرِك شأوه أصحابُ المراتب، ولا ينال درجتَه أربابُ المناصب؛ لقربه من الخليفة، ومثوله عند السُّدَّة الشريفة؛ في حالتي السَّفَر والحَضَر، إنْ غابَ شخصُه أو حَضَر»[٤٩].

بينما كانت كتب الخليفة إلى الوزير يحملها شخص ليبلغها إليه[٥٠]، أي أنه لم يكن يجلس مع الخليفة ليل نهار، وكان صاحب الديوان ابن الدامغاني «يرتِّبُ النوَّاب في الأعمال من غير مشاورة الوزير»[٥١]، وكان الدويدار الصغير يترفَّع عليه ولم يكن يزوره استنكافاً[٥٢].

وكان ابن الدرنوس الذي أصبح مستشار الخليفة الأول، أكثر تأثيراً في الخليفة منه؛ إذ كان ابن العَلْقَمِيّ ـ الوزير الأول في الدولة ـ إذا جاءه ابن الدرنوس برسالة من الخليفة، يبادر إلى إخلاء المجلس من الجلساء ويختلي به فربما

جاءه «في مشافهة من عند الخليفة»[٥٣]، أي ما نسميه اليوم بـالكتاب «السِّرِّيّ والشخصيّ».
ولا صحة لادِّعاء الذهبي بأن ابن العَلْقَمِيّ كان يلعب بالخليفة «كيف أراد ولا يطلعه على الأخبار وإذا جاءته نصيحة في السر أطلع عليها ابن العَلْقَمِيّ»[٥٤]. فاللاعب بالطيور ابن الدرنوس كان هو اللاعب بالمستعصم (وهو لاعب بالطيور أيضاً)، وكان ابن الدرنوس «في مبدأ أمره يعمل في الكلَّة مع أرباب تنانير الآجُرّ، وهو الذي ينقل اللَّبِن إلى التنُّور ثم يحطُّه بعد طبخه، ثم ولع بالطيور الحمام فكُتِب في جملة البرَّاجين[٥٥] بدار الخليفة. ثم تراقت حالُه إلى أن صار مقرباً عند الخليفة يراسل به الوزير ويشاوره في الأمور ويعمل برأيه ولُقِّب نجم الدين. ورُتِّب بعد واقعة بغداد (أي بعد احتلالها) خازناً بالديوان، ثم نقل خازناً إلى الكارخانه، فبقي على ذلك إلى أن مات»[٥٦] سنة ٦٧٧هـ. وكان الاعتقاد السائد أن ابن الدرنوس هو الحاكم الحقيقي للدولة وأنه هو الذي أوقع البلد في الخراب[٥٧].
كان ابن العلقمي مخلصاً للخلافة العباسية، ولما كان يشغل المناصب الكبيرة منذ عهد المستنصر فقد كان يعرف السمات الشخصية لأبناء المستنصر ولم يكن راغباً بالبيعة للمستعصم بعد وفاة أبيه، لكن قائد الجيش إقبال الشرابي ومن معه من القادة هم الذين اختاروا المستعصم لكونه ضعيف الشخصية ليهيمنوا عليه، يقول المؤرخ النخجواني إن القادة حين اختاروا المستعصم للخلافة، أرسلوا في طلب أستاذ الدار ابن العلقمي وقالوا إنْ وافق على تعيين المستعصم خليفةً فهو المطلوب، وإنْ لم يوافق فسنقتله (أي يقتلون ابن العلقمي)، والسبب في ذلك هو أن ابن العلقمي كان يعلم أن المستعصم ليس أهلاً للخلافة، وكان يريد تعيين نجل آخر من أنجال المستنصر وُصِفَ بأنه صاحب رأي وتدبير خليفةً. ثم إنَّ أحد الخدم المخلصين لابن العلقمي ذهب وأخبره بخبر المؤامرة، فجاء ووافقهم على ما أرادوا، وأُبلغ الناس بوفاة الخليفة وأُخذ البيعة للخليفة الجديد[٥٨].
أما الخليفة المستعصم فقد كان منهمكاً بهواياته: الصيد واللعب بالطيور والغناء والموسيقى ومشاهدة أداء الراقصات، حتى قال الذهبي: «كان يلعب بالحَمَام ويهمل أمرَ الإسلام»[٥٩]؛ وقال المؤرخ سبط ابن قنينو: «كان مغرَماً بسماع الملاهي، محبَّاً للهو واللعب، يبلغه أنَّ مغنِّيةً أو صاحبَ طربٍ في بلدٍ من البلاد فيراسل سلطان ذلك البلد في طَلَبِهِ»[٦٠]؛ ويكفي أن نذكر أنه عندما احتلت القوات المغولية جانب الكرخ من بغداد وبدأوا يرشقون الجانب الشرقي منها بالسهام كان المستعصم يجلس مسترخياً يشاهد وصلةً من الرقص تؤديها إحدى جواريه، يقول ابن كثير: «وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أُصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتُضْحِكُه ـ وكانت من جملة حظاياه وكانت مولَّدة تسمى عَرَفَة ـ جاءها سهمٌ من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً»[٦١].
والسبب كما يقول النخجواني أنَّ الخليفة «كان منشغلاً في أكثر الأوقات باللهو والصيد،

وكان غافلاً عن إدارة شؤون البلاد والرعية، وكان مؤيد الدين ابن العَلْقَمِيّ يواصل تقديم التقارير المتضمنة لتنبيهه والتحذير له، لكن الخليفة لم يتنبَّه إلى شيء وازداد غفلةً»[٦٢].

بل لقد كانت هناك خطة لوقف تقدُّم هُولاكُو نحو العراق اقترحها حسام الدين عكَّة حاكم دَرْتَنْك وما حولها[٦٣]، المعَيَّن مِن قِبَل الخليفة، أبلغها إلى حاكم أربيل ابن الصلايا العلوي المعَيَّن مِن الخليفة أيضاً، وشَرَحها بقوله: أنَّ بمقدوري إن أجمع مئة ألف مقاتل من الكُرْد والتُّركمان ليسدُّوا الطريق بوجه جيش هُولاكُو، ولن أدَعَ أيَّ مخلوق يصل إلى بغداد، لو أنَّ الخليفة تعاون معي وثبَّتَ فؤادَي وأرسل ما لديه من الفرسان، وقد أبلغ ابنُ الصلايا تلك الخطةَ إلى الوزير ابن العَلْقَمِيّ الَّذي ذهب إلى الخليفة وعرضها عليه لكنه لم يُعِرْها اهتماماً.

حين وصلت أنباء هذه المراسلات إلى مسامع هُولاكُو استعمل الحيلة لإلقاء القبض على حسام الدين وقتْله[٦٤]، ثُمَّ أضمر الشرَّ لحاكم أربيل «ابن الصلايا»، وتمكَّن من قتْلِه بعد احتلال بغداد حيث خَدَعه بدر الدين لؤلؤ وجاء به إلى هُولاكُو[٦٥].

كما لم يكن المستعصم أميناً، ومن ذلك خيانته للأمانة التي أودعها لديه الملكُ الناصر داود الأيوبي ملك الكَرَك، من الذهب والجواهر عند قدومه إلى بغداد وحلوله ضيفاً عليه. وحين احتاجها، لم يُرْجِعْها إليه برغم إلحاحه عليه. وأخيراً ابتكر المستعصم حلاً لذلك بأن كتب قوائم بالنفقات التي أنفقها على الملك الناصر عندما كان في ضيافته، وحَسَبَ عليه حتى ثمن الحطب الذي طُبِخَ به الطعامَ له ولمرافقيه.

وهكذا ابتلع الخليفة المستعصم وديعةَ الملك الناصر، وشاعت هذه الفضيحة في كتب التأريخ والأمصار، ونُظمت فيها الأشعار[٦٦].

وكان بخيلاً في الإنفاق على الجنود فكانوا يشحذون ما يتقوَّتون به، إذْ نقرأ:«كان الخليفةُ قد أهمل حال الجند ومَنَعَهم أرزاقهم وأسقطَ أكثرَهم من دساتير ديوان العرض. فآلت أحوالهم إلى سؤالِ الناسِ وبذْلِ وجوهِهم في الطلبِ في الأسواق والجوامعِ، ونَظَمَ الشعراءُ في ذلك الأشعار»[٦٧].

إنَّ كون الخليفة لِصاً جعل أغلب أفراد حاشيته يمتهنون اللصوصية أيضاً وبلغ الأمر حداً أنه حين طوَّق المغول بغداد، انتبه الخليفة من غفلته وأراد تشكيل قوة من رماة السهام يقفون على أسوار المدينة للدفاع عنها وخصَّص مالاً لذلك، سَرَقَ رجال البلاط أكثره، يقول المؤرخ ابن الكازروني وكان في بغداد آنذاك:«وتقدَّم الخليفةُ بإقامة جماعة من الرماة على السور وإطلاق مالٍ كثير إليهم؛ فخرج جماعة من الأعيان وأعوان الديوان والمالُ معهم وشرعوا في الإثبات (أي تسجيل الأسماء) وإطلاق اليسير وسرقة الباقي شرهاً إلى المال»[٦٨].

وأخيراً حاول قائد الجيش الدويدار الصغير الفرارَ فـ «أَخَذَ الأموالَ والجواهر وأراد أن ينحدر في سفينة، فاستولى المغولُ عليها»[٦٩]. فاضطرَّ إلى تسليم نفسه هو والقائد الآخر سليمان شاه مع مرافقيه (كان عددهم ٧٠٠ فارس) إلى هولاكو الذي طلب إليهما أن يأتيا ببقية الجنود الناجين من معركة بغداد ليشكل بهم جيش مرتزقة لغزو الشام، فخُدع الدويدار وسليمان شاه بكلام الماكر هولاكو

وخَدَعا معهما جندَهما حيث «عَزَمَ جندُ بغداد على الخروج معهما ـ وكانوا خلقاً لا يُحصون مؤمِّلين أن يجدوا الخلاص ـ فقسَّموهم ألوفاً ومئاتٍ وعشراتٍ وقتلوهم جميعاً»[٧٠]، كما قتلوا الدويدار الصغير وسليمان شاه ومرافقيه السبع مئة[٧١].

أما الخليفة المستعصم فكان مستعداً أنْ يصبح عبداً مملوكاً هو وأفراد أسرته لكي يبقى على قيد الحياة؛ يلخِّص ابن العبري ذلك فيقول: «لما أَيِسَ الخليفةُ المستعصم التاعس الحظ، استدعى ابن العَلْقَمِيّ وزيره ونجمَ الدين ابن الدرنوس ومار مكيخا الجاثليق، وأمرهم أن يأخذوا ذهباً كثيراً وبضائع ملكية وخيولاً عربية، وأن يطلقوا سفراء التتر من السجن ويوشِّحوهم ويُسنُّوا لهم الهدايا الوافرة ويذهبوا معهم إلى ملك الملوك، ويطلبوا الأمانَ له ولأبنائه وأهله، ويعتذروا له بأنَّ ما جرى إنما جرى على يد مشيرين أشرار، وأنهم إنْ ظلُّوا على قيد الحياة أمسوا عبيداً خاضعين يؤدُّون له الجزية. ولما سار هؤلاء وأكملوا سفارتهم، ثبَّطهم هولاكو ولم يأذن لهم أن يعودوا إلى الخليفة؛ وشدَّد القتال»[٧٢].

ثم إن هولاكو قرَّر أن يستخدم الخليفة شَرَكاً للإيقاع بمن بقي يقاتل من النجباء داخل بغداد، فطلب إليه أن يعود إلى بغداد ويأمر سكان المدينة بإلقاء السلاح والخروج ليقوم المغول بإحصائهم. فعاد الخليفةُ إلى المدينة ودعا المقاتلين إلى إلقاء السلاح والاستسلام، فأذعنوا لنداء خليفتهم وجاؤوا أفواجاً، فذبحهم المغول بأسرهم[٧٣].

كنا نتمنَّى لو أنَّ الأستاذين الفاضلين فصَّلا الكلام في هذه الأمور التي كانت السبب الحقيقي وراء سقوط الدولة العباسية، ومصادرها متوفرة بكثرة تتعب المتتبِّعين بدلَ أن يستندا إلى التكريتي الذي بلغ من قلة معرفته بمفردات بحثه أن يقول: «الإسماعيلية: فرقة باطنية من غلاة الشيعة الاثني عشرية، تقول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وهم يؤلِّهون الأئمة ويعصمونهم عن الخطأ؛ وقد ظهرت في بلاد الفرس منذ بدايتها، ووقفوا ضد اللغة العربية...»[٧٤]. (!!!). ولا ندري كيف يكونون شيعة إسماعيلية (ويقال لهم السَّبْعيَّة أيضاً) واثنا عشرية في آن واحد؟

بل إن التكريتي كان متسرِّعاً في الكتابة إلى الحد الذي لم يكن يكاد يفقه ما تعنيه النصوص التي بين يديه، ومن ذلك مثلاً قوله: «يقول ابن الفوطي في معجم الآداب في معجم الأسماء والألقاب: كان رشيد الدين يدمن شرب الخمور ويتفلسف ولا يعترف بالشريعة المحمديَّة وبذلك فارق أباه قاضي إيج، واتُّهِمَ باعتقاده»[٧٥]. وكرَّر اتِّهاماته هذه لرشيد الدين في كتابه الآخر ابن العلقمي أمام التاريخ[٧٦]؛

بينما كان ابن الفوطي يتحدَّث عن العالم الشهير عضد الدين الإيجي وليس عن المؤرخ رشيد الدين[٧٧].

وكان الحماس يأخذ التكريتي حيناً فيبتكر الوقائع ابتكاراً، فهو يقول مثلاً إن المؤرخ والوزير رشيد الدين «أكَّد اتصال ابن العلقمي بهولاكو سنة ٦٥٤هـ، وفاوضه على احتلال بغداد واستأمنَ على حياته»[٧٨]، ولم يذكر في الهامش من أين جاء بهذا الكلام. والحقيقة هي أنَّ رشيد الدين لم يقل هذا الكلام إطلاقاً.

كما قال إنَّ تفـاوض ابن العلقمي وهولاكو تمَّ «بحضور نصير الدين ورشيد الدين الهمذاني»[٧٩]؛ ولم يذكـر أيضاً المصدر الذي اسـتند إليه لأنه غير موجود.

نعم كان هولاكو قد جاء معه بنصير الدين عند غزوه بغداد سنة ٦٥٦هـ، أما رشيد الدين المولود سنة ٦٤٨هـ فكان آنذاك في الثامنة من عمره صبيًّا يَدْرُس في الكُتَّاب.

ومن أوهامه أن هولاكو حين قرر قتل الخليفة بوضعه في جوالق ورفسه بالأرجل ـ وهي الرواية التي قال النويري إن هولاكو أَمَرَ «أن يُجعَل في جولق ويداس بأرجل الخيل، ففُعل به ذلك حتى مات»، وعلَّق قائلاً: «ومن عادة التتار أنهم لا يسفكون دماء الملوك والأكابر غالباً»[٨٠] ـ فإنَّ قتله بهذه الوسيلة ـ كما يعتقد التكريتي ـ كان «خطَّة من وزراء السلطان هولاكو وحاشيته وعلى رأسهم ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي المسلم الهارب من كفر الملاحدة ورشيد الدين الهمذاني»، فقُضي على الخليفة أن يموت «تحت أقدام الوزراء الفرس تشفياً وانتقاماً، وبينها أقدام ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي ورشيد الدين الهمذاني»[٨١]. وهذا كلام لا وجود له في التاريخ، فضلاً عن أنَّنا قلنا إن عُمر رشيد الدين كان ٨ سنوات فقط آنذاك[٨٢].

ومن أوهامه التي قاده إليها اندفاعه الحماسي، قولـه إن ابـن العلقمـي سـاعدَ على قتـل ابن الصلايا العلوي الحاكم العباسي لأربيل، مع أنَّ مَـن أخذه إلى هولاكو الذي قتله كان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل[٨٣].

ومـن مجازفاتـه أنـه اسـتخفَّ وسـخر مـن اثنين مـن عمالقة البحـث والتحقيق في التراث هما الشـيخ محمد رضـا الشـبيبي والدكتور مصطفـى جـواد، وعاب عليهمـا دفاعهما عن ابن العلقمي[٨٤]. وكنا نتمنى أن لا يبادر ـ وهو الكاتـب المبتدئ القليل البضاعة ـ إلى التعرُّض لهذين العملاقين.

من الكتاب الرَّثّ للتكريتي، اتَّخَذَ الأسـتاذان الدكتور محمد حسـن سهيل والأستاذ محمود محسـن داود، مرجعـاً مهماً يسـتندان إليه في سرد الوقائع التاريخية؛ وبذلك انتقلت كوارث السيِّد التكريتي إلى مقالة هذين الفاضلين.

● نُقُول ونُحُول

أول شيء حـرص عليـه كاتبانـا الفاضـلان أنهما اتَّبعا التكريتي حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة، حيث نجدهما ـ كما كان السـيد التكريتي ـ يقولان مثلاً: «وزيـر الدولة العباسـية الفارسي مؤيد الديـن بن العلقمـي» (ص ٥٥)، وفي الصفحة نفسـها «الوزير الفارسي ابن العلقمي، الوزير ابن العلقمي ورجال الخليفة جميعاً يجتمعون ويتشـاورون في أمور الخلافة وشـؤون الدولة وزحف هولاكو وجيشه، وإنَّ الوزير والدويدار وأمـراء الجيش كلهم من غـير العرب، الأعاجم الفرس والعلماء التركمان» (ص ٥٦)، ولا نعلم مـا علاقة «العلماء التركمان» بالدسيسـة التي قيل إن الدويدار الصغـير ـ وهو تركي حقاً ـ كان يعدّ العدة لتنفيذها لخلع الخليفة؟.

كان كاتبانا الفاضلان ينقلان من كتاب التكريتي باطمئنان وكأنهما ينقلان من شاهد عيان على الوقائع، فنقلا قوله مثلاً «الوزير ابن العلقمي يمهِّد للانقلاب، لهذا التدهور

والتذمر والافتتان، حتى يسهِّل تمرير المؤامرة لإزالة السيادة العربية وإسقاط الخلافة العباسية» (ص٥٤ من مقالهما). والحقيقة هي أن ابن العلقمي هو الذي نبَّه الخليفة على وجود دسيسة لعزله سيقوم بها قائد الجيش الدويدار الصغير، مما أهاج الدويدار وجعل العلاقة بينه وبين ابن العلقمي تزداد توتراً، وهي أمور وردت في كتاب الحوادث، وفصَّلها أيضاً المؤرخ رشيد الدين في جامع التواريخ.

ومما ردَّده الأستاذان الكريمان من غير أن يتثبتا منه هو قولهما: «كان الوزير مؤيد الدين بن العلقمي يتصل بالمغول ويدعوهم للقضاء على الخلافة، ويمهِّد الطريق لهم بتسريح الجيوش وكَتْم أنبائهم عن الخليفة والتقليل من شأنهم» (ص ٥٥).

ومهما يكن فإن حكاية «تسريح الجنود أو إخفائهم»، أمر جدير بالبحث لمعرفة الطريقة التي سُرِّح بها أولئك المقاتلون المغاوير كما زعم.

تقول هذه الحكاية/الأسطورة: إن ابن العَلْقَميّ كاتَبَ هولاكو وقال له:«تعال إلى بغداد وأنا أسلِّمها لك»؛ فأرسل هولاكو جواباً إلى ابن العلقمي، قال فيه:«إن عساكر بغداد كثيرة، فإن كنتَ صادقاً فيما قلتَه إلينا وداخلاً تحتَ طاعتنا، فَفَرِّقْ العساكرَ، فإذا عملتَ ذلك حَضَرْنا.

فلما وصل كتابُه إلى الوزير، دخل إلى المستعصم وقال له: إنَّ جندك كثيرون، وعليك كِلَفٌ كثيرةٌ، والعدوُّ قد رجع من بلاد العجم، وعندي من الرأي أنك تعطي دستوراً[٨٥] لخمسة عشر ألف فارس من عسكرك وتوفِّرْ معلومَهم[٨٦]؛ فأجابه الخليفةُ إلى ذلك. فخرج الوزير وعَرَضَ العسكرَ وانتقى منهم خمسة عشر ألف فارس نقاوةَ العسكر[٨٧]، وأعطاهم دستوراً ومنعهم من الإقامة ببغداد وأعمالها، وأخرجَ لهم أوراق الدستور، فتفرَّقوا في البلاد.

ثم إن الوزير المذكور عليه لعنة الله أتى الخليفةَ بعد أشهر وعمل مثلَ ما عمل أولاً وأعطى دستوراً لعشرين ألف فارس، وكان (كذا) هؤلاء الخمسة والثلاثون ألفاً مقوَّمين بمئتي ألف فارس[٨٨]. فلما فَعَلَ ذلك كتب إلى الملك هولاكو بما فعله. فركب هولاكو وقصدَ بغداد إلى أن نَزَلَ عليها...»[٨٩].

وكرَّر ابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ، وكذلك المؤرخ الإيراني حافظ أبرو المتوفى سنة ٨٣٣هـ، والديار بكري المتوفى سنة ٩٦٦هـ ـ المتأخرون جدَّاً عن واقعة الغزو المغولي للعراق سنة ٦٥٦هـ ـ روايةَ تشتيت ابن العلقمي لهذه الآلاف المؤلَّفة من العساكر[٩٠].

ويُفترض أن يكون شخصٌ واحدٌ هو الوزير ابن العلقمي الذي لم يكن لديه من الجنود سوى قوة حماية صغيرة من الأتراك كانوا ـ حين يحدث توتر بينه وبين الدويدار الصغير ـ يتخلَّون عنه وينضمُّون إلى زملائهم الأتراك ممَّن مع الدويدار الصغير[٩١]، قد تمكن لوحده من إلقاء القبض على آلاف الجنود (من قوات النخبة أو المغاوير) وأخفاهم أو فرَّقهم، وكأنهم دجاج يُجمع في أقفاص في أماكن سِرِّيَّة ومجهولة خارج بغداد، فلا يعلم بهم أحدٌ بل ولم تقع عليهم عينُ أحد من أهل بغداد لدى إلقاء القبض عليهم وإخراجهم من المدينة. وإنما افترضنا أنه ألقى القبض عليهم بمفرده لأن أفراد حمايته كانوا من الأتراك، وأن الجنود

الذين يُفترض أنه أُلقي القبض عليهم كانوا أتراكاً أيضاً، لذا كانوا سيتمردون حتماً لو أمرهم الوزير بإلقاء القبض على أبناء جلدتهم. فلم يبق إلاَّ أن يباشر الوزير بنفسه فقط لإلقاء القبض على ٣٥ ألف جندي وضابط من أفراد قوة المغاوير تلك. وكان أفراد قوة المغاوير تلك يستسلمون له بصمت وهدوء، ثم يبعث بهم في منافي الأرض، فلا يعترض منهم معترض على هذا الإجراء أو يقاوم بلسانٍ ولا سيف، بل ولا يشتكي فردٌ واحدٌ منهم إلى أيِّ مسؤول في الدولة، ويضيع خبرهم وإلى الأبد؛ ٣٥ ألف جندي وضابط أخرس ومشلول أُلقي عليهم القبض وهم صامتون ساكنون (وقد قيل لنا إنهم قوات النخبة أو المغاوير)، ولم يكن أيُّ واحد منهم يحتج أو يقاوم بسيفه أو لسانه، ولم يذهب أيٌّ منهم إلى الدويدار الصغير الحنبلي قائد الجيش وهو ألد مناوئي ابن العَلْقَمِيّ ليخبره بهذا السلوك المدمِّر، إذ كانت العلاقة متوترة بينه وبين الوزير، وستكون فرصة مناسبة لفضح مخطط الوزير المدمِّر للجيش ويخبر الخليفة بما يقوم به ابن العَلْقَمِيّ، مما سيفضح هذا الوزير ويسقطه نهائياً.

ولم يسمع بذلك أستاذ دار الخلافة وهو محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، الذي «كان عدوَّ الوزير ابن العلقمي»[٩٢].

كما لم يسمع بهذا الإجراء خطباءُ الجوامع الذين كانوا يشكِّلون المنابر الإعلامية القادرة حتى على إسقاط العروش، فما بالُك بوزير ضعيف ليس له من الوزارة سوى مظاهرها وتشريفاتها. ونخص بالذكر هنا القوة الهائلة للحنابلة الذين كانوا جماهير غفيرة في الجانب الشرقي من العاصمة بغداد، فضلاً عن وجود أئمة الجوامع وخطبائها الذين كان أغلبهم حنابلة[٩٣] ولهم نفوذ هائل في التأثير في الشارع البغدادي، ومن هؤلاء الواعظ ابن أخت أبي صالح الحنبلي و «كان من كبار العلماء والأفاضل، وكان متشدِّداً في السُّنَّة يلعن أهل البدعة على منبر الوعظ لا تأخذه في الله لومةُ لائم، وله أصحاب يترددون إلى مجلسه. وجرت له بهذا التعصب نِكَبٌ أوجبت أن يمنع عن الجلوس خوفَ الفتنة من العوام، ثم أُذِنَ له في ذلك بتقدُّم من المستعصم؛ ولما جلس ذكر قصيدته وهي تنيف على ١٢٠ بيتاً، ومنها قوله:

فالحمد لله على كَبْتِ العِدى

ودَحض أهلِ الرَّفْض والتمَجُّسِ»[٩٤]

وكان الدويدار الصغير حنبلياً أيضاً وبنى المدرسة المجاهدية ووَقَفَها على الحنابلة[٩٥]، وبإمكانه الاستفادة من هؤلاء الخطباء في الإعلان على جميع منابر بغداد عن أي تصرف مضرٍّ بمقدَّرات البلاد والعباد سواء أكان صادراً من الوزير أم من غيره؛ وسيؤدي ذلك إلى إثارة العوام أصحاب القوة الضاغطة المخيفة آنذاك، إذ كان بإمكان أي قوة من هذه القوى إخبار الاتصال بالخليفة وإخباره بما كان الوزير ابن العلقمي يحاول إخفاءه عنه، أو أن يتصلوا بواحد أو اثنين من أولئك الضباط والجنود الخمسة والثلاثين ألفاً الذين قيل إن ابن العلقمي كان ينوي إخفاءهم لكي يذهبوا به إلى الخليفة ليخبره، أو يأخذوه إلى أي منبر من منابر العاصمة ليرتقيه ويفضح

تلك المؤامرة، وكانوا قادرين كذلك على إفشال أي تحرك ينوي الوزير القيام به مما لا يتفق ومصلحة الدولة. كما كان الدويدار الصغير قادراً على لقاء الخليفة في أي وقت يشاء وإبلاغه بأي خبر، وكان الخليفة يخاف منه.

ثم إن إلقاء القبض على هذا العدد الهائل من قوات المغاوير، كان سيحتاج إلى ما لا يقل عن بضعة آلاف من الجنود والضباط ممن يعادلونهم في الكفاءة القتالية لتنفيذ عملية إلقاء القبض والنفي الكبرى تلك؛ إذ ربما اندلع قتالٌ جراء امتناع أيِّ عسكري من تنفيذ أمر الوزير الجائر؛ وهذا أمر لم يكن ميسوراً للوزير، فالمعتقَد وبشكل جازم أن الوزير لم يكن لديه حتى ولا أقل من عُشر العدد الذي تتطلبه إجراءات كهذه.

هذه هي قصة تسريح الوزير ابن العلقمي المزعوم للجنود التي قرأها الأستاذان الفاضلان الدكتور محمد حسن سهيل والأستاذ محمود محسن داود فصدَّقا بها وأشارا إليها، ولا ندري لِمَ لَمْ ينقلاها، وهي موجودة في كتاب السيد التكريتي[٩٦] الذي نقل نصوصها من مؤرخين متأخرين من أمثال اليونيني الحنبلي (٦٤٠ ـ ٧٢٦هـ)، وابن كثير الشافعي (٧٠١ ـ ٧٧٤هـ)، والمقريزي الشافعي (٧٦٦ـ٨٤٥هـ)، وابن خلدون المالكي (٧٣٢ـ٨٠٨هـ)، والقلقشندي الشافعي (٧٥٦ـ٨٢١هـ)، وابن الوردي الشافعي (٦٩١ـ٧٤٩هـ)، وابن شاكر الشافعي (٦٨١ ـ ٧٦٤هـ)، وأبي الفداء الشافعي (٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ)، وليس فيهم من عاش في بغداد سواء في ظل الخلافة العباسية أم كان فيها ساعة دخول المغول إليها، بل إن أغلبهم ولدته أمه بعد احتلال العراق بعقود بل بقرن أو أكثر من الزمان.

لقد وَصَفَ العلاَّمة الراحل الدكتور مصطفى جواد رواية اتِّهام ابن العلقمي بالخيانة بأنها «التهمة التي ألصقها به (بابن العلقمي) مؤرخو مصر ومؤرخو الشام والعوام من القدماء»[٩٧]. ولقد رأينا أن جميع أولئك المؤرخين يختلفون مع الوزير ابن العلقمي .

لو أخذنا مثلاً اثنين مِمَّن يُعدُّون في عِداد كبار المؤرخين كالذهبي الشافعي (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) وابن كثير الشافعي (٧٠١ ـ ٧٧٤هـ) ـ وكانا مِن بين مَن ألصق تهمة الخيانة بهذا الوزير، فالذهبي «كان حنبلي العقيدة، قد أثَّرت فيه البيئةُ الدمشقية، وصحبتُه لشيخ الإسلام ابن تيمية»[٩٨]، وكان يجلُّه ويسميه «شيخنا الإمام»[٩٩]. وأشهر أقواله فيه: «فلو حلفتُ بين الركن والمقام لحلفتُ إني ما رأيت بعيني مثلَه، ولا والله ما رأى هو مثلَ نفسه في العِلم»[١٠٠]. وكان الذهبي شيخاً لابن كثير[١٠١] الذي يقول عنه: «شيخنا أبو عبد الله الذهبي، وكان يُقرِئ الفقه على مذهب الشافعي بجامع دمشق، وكان من أئمة المذهب»[١٠٢]؛ كما كان (أي ابن كثير) تلميذاً لابن تيمية وكان يجلُّه كثيراً ويقول عنه: «شيخنا الإمام العلاَّمة أبو العباس ابن تيمية»[١٠٣]. وقد دأبَ هؤلاء جميعاً على النقل من بعضهم، وبذلك نعرف السرَّ في الموقف العدائي الذي اتَّخذاه من الوزير ابن العلقمي.

لقد وَصَفَ الباحث المعاصر الدكتور سعد الغامدي الذين اتهموا الوزير بتهمة

الخيانة أنهم «كانوا مؤرخين متطرِّفين وجَّهوا إليه تلك التُّهم أصلاً بدافع من التعصب المذهبي، تمليه حوافز عدوانية وعواطف تحاملية يكنُّونها تجاه هذا الوزير المسلم الشيعي المذهب. لهذا فإن المرء ليقف عند روايات من هذا القبيل موقفَ الشك، هذا إذا لم يرفضها رفضاً قاطعاً؛ وإن ما أورده أولئك المؤرخون في تقاريرهم حولَ هذا الشأن لا يقوم على أساس علمي دقيق ومحقَّق»[١٠٤]. ومن هذا التعصُّب والانسياق وراء هوى العصبيات تسمية المؤرخ التركي الآقسرائي لابن العلقمي بـ «الوزير اليهودي»[١٠٥].

ونعتقد أن هذا الإلحاح على وجود دور خياني مزعوم للوزير ابن العلقمي إنما كان يهدف إلى إبعاد الإدانة عن أشخاص كانوا السبب الحقيقي للدمار الذي حلَّ بالعباد والبلاد من أمثال الخليفة والقادة العسكريين ورجال البلاط اللصوص الذين لم يتورعوا عن سرقة الأموال المخصصة للدفاع عن بغداد في الوقت الذي كان فيه المغول يطوقون المدينة ويرمونها بالقذائف المشتعلة والسهام، بل وجدنا اثنين من كبار العلماء قد خانا الأمانة خلال تلك الواقعة المهولة؛ فحين اقتحم أفراد الجيش المغولي مدينة بغداد وبادروا إلى قتل سكانها ونهب ممتلكاتهم، وَسَّطَ أهلُ بغداد ثلاثةً من كبار الشخصيات هم قاضي قضاة الشافعية لدى الخليفة المستعصم شهابُ الدين محمود الزَّنْجانيّ وشرف الدين المراغي وأحمد بن عمران الباجسري ليأخذوا الأمانَ لأهل المدينة[١٠٦]. لكنَّ واحداً من هؤلاء الوسطاء (شهاب الدين الزَّنْجاني) [١٠٧] استغلَّ ثقة الناس به فقام مع رفيقه الفقيه الطهراني الرازي[١٠٨]، بتنظيم مجزرة ذُبِحَ فيها جمعٌ من الفقهاء ممن يختلفون معهم في الرأي لمجرد اعتقادهما أنهم «أهل العناد والفساد»، حيث كانا يسلِّمانهم إلى المغول ليقتلوهم. يقول ابن الفُوَطِيّ الحنبلي في ترجمة الطهراني:«وكان شديد الوطأة على أهل العناد والفساد وتولَّى تدريس المدرسة البشيرية، وكان عالماً بالفقه وأيام الناس؛ وهو ممن كان يُخْرِجُ الفقهاءَ إلى باب السُّور إلى مخيَّم السلطان هولاكو مع شهاب الدين الزنجاني ليُقْتَلوا»[١٠٩].

● مرجع رصين

لما كان الأستاذان الفاضلان الدكتور محمد حسن سهيل والأستاذ محمود محسن داود يفضلان الرجوع إلى المراجع بدل المصادر الأصيلة، فقد كان بين أيديهما بحث بلغ درجة عالية من الدقة، وقد استفادا منه، وكان الأفضل لهما أن يعرفا قيمته فيتمسكان به ويتوسعان في الاستفادة منه، ونعني بذلك البحث الرصين الذي كتبه الدكتور رشيد عبد الله الجميلي الأستاذ بكلية الآداب في جامعة بغداد الذي عنوانه حملة هولاكو على بغداد ٦٥٦هـ، الذي نشره في مجلة المورد (المجلد الثامن، العدد الرابع، السنة ١٩٧٩م، الصفحات ٦٠ ـ ٦٤). وهو بحث متوازن لم ينزلق إلى خرافات المؤرخين الشاميين/ المصريين، واستند إلى مصادر أصيلة عاصرت الوقائع أو استندت إلى المصادر المعاصرة لها. ولو فَعَلا ذلك لجنَّبا نفسيهما ما أوقع بحثهما في مهاوي الخلل والنقصان؟

وهلاً استعانا مثلاً بكتابات الأكاديمي البارز الدكتور جعفر خصباك الذي أصدر كتابه العلمي العراق في عهد المغول الإيلخانيين سنة ١٩٦٨م، وهو متوفر في المكتبات.

لقد وجدت الأستاذين الفاضلين الدكتور محمد حسن سهيل والأستاذ محمـود محسن داود قد حصرا استفادتهما في مقالهما من المصادر والمراجع بما طُبع منها بين السنين الواقعة بين ١٩٠٧م، السنة التي طبع فيها كتاب تاريخ دول الإسلام لرزق الله منقريوس الصدفي (وليس منقريوش ولا الصوفي كما كتبه هذان الفاضلان ثلاث مرات) وسنة ١٩٨٨م التي طَبَعَ فيها الكاتب سلمان التكريتي كتابه بغداد مدينة السلام؛ أي أن هذين الأستاذين لم يطِّلعا على أي كتاب أو بحث صدر بعد سنة ١٩٨٨م، وهذا يعني أن بحث الأستاذين انقطع عن متابعة ما نُشر من كتب وبحوث مدةً استمرت طوال ٢٨ عاماً. وما أكثر ما صدر في موضوع بحثهما بعد هذا التاريخ من بحوث وكتب نفيسة يقف في مقدمتها كتاب مختصر تاريخ بغداد في القديم والحديث للباحث العراقي علي ظريف الأعظمي الذي صدرت طبعته الثانية سنة ٢٠٠٥م (كانت طبعته الأولى قد صدرت سنة ١٩٢٦م)؛ وكتاب الباحـــث السعـــودي الدكتور سعد بن محمد حذيفة الغامدي سقوط الدولة العباسية ودَور الشيعة بين الحقيقة والاتهام الصادر سنة ٢٠٠٤م، وكلاهما متوفر في السوق والمكتبات. ولو اطَّلعا على هذين الكتابين فقط لكانا كافيين لأن ينقلا لهما صورة شاملة تجعلهما محيطين بزوايا الموضوع الذي كتبا فيه. كما لم يستندا إلى الكتاب الذي لا يمكن لأي باحث في التاريخ المغولي أن يهمله، وهو كتاب تلخيص مجمع الآداب للمواطن البغدادي ابن الفوطي الشيباني الحنبلي (٦٤٢ ـ ٧٢٣هـ)، الذي كان في بغداد حين اجتاحها المغول ووقع هو وأخوه في أسرهم ومكث أسيراً لديهم ثلاث سنوات. وكتب مشاهداته المهمة التي نجدها فيما بقي من كتاباته.

● **أين هو الجديد**

في مقال الأستاذين الفاضلين؟

كان المتوقَّع أن يجد القارئ شيئاً جديداً ينتفع به فيما كتبه الأستاذان الكريمان سهيل وداود من اقتباس من مخطوطة جديدة أو رأي جديد لأحد الباحثين بهذا الشأن، لكنه يفاجَأ بنقول رُصفت إلى جانب بعضها بغية تكوين موضوع ينتهي منه الكاتبان وكأنهما قد دُفعا إلى ذلك كُرهاً. بل إنَّ بعض نقولِهما اقتُبست من كتب كانت مَثلبةً لمؤلِّفيها سَجيسَ الليالي والأيام مثل كتاب زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول[١١٠] لمصطفى طه بدر، وكتاب بغداد مدينة السلام وغزو المغول لسلمان التكريتي الذي ألمعنا آنفاً إلى بؤسه.

وإنَّ كتاب الدكتور المصري مصطفى طه بدر رسالة نال بها درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣٩م، وقد أشرف عليها الباحث المعروف الدكتور حسن إبراهيم حسن. وهو كتاب لم يُحْسِن فيه كاتبه حتى فهم النصوص المكتوبة بالعربية، بل إنه لم يُشِر حتى إلى رأي المشرف على رسالته الدكتور حسن إبراهيم حسن في أسباب الغزو المغولي الذي ردَّ فيه على روايات المؤرخين المتأخرين

التي أصرَّت على دَوْرٍ خِيانيّ مزعوم لابن العَلْقَميّ في احتلال بغداد، بالقول:«على أن هذه الآراء لا تتفق مع هذه الحقيقة التأريخية وهي أنَّ فتح المغول بغداد كان جزءاً من مشروع سياسي يهدف إلى اتِّساع رقعة إمبراطورية المغول بعد أن تمَّ لهم فتح إمبراطورية الصين الشمالية وأواسط آسيا وإيران وجورجيا والقوقاز والروسيا وبولندا وغيرها. أضف على ذلك أنَّ قَتْلَ المغولِ أهلَ بغداد قد شملَ السُّنِّيين كما شمل الشيعيين الذين نُهبت دُورُهم في الكرخ وهي محلة الشيعة ببغداد...»[١١١]. وقد ناقشنا الدكتور مصطفى طه بدر في كتابنا إعادة كتابة التاريخ (الطبعة الثانية)، ٢٦١ ـ ٢٨٨، وناقشنا أيضاً كتاب السيد سلمان التكريتي (ص ٣٦٥ ـ ٣٧٤).

لا يفوتنا ذِكْرُ ما في بحث الأستاذين الفاضلين من أمور أحسنا فيها القول لدى ذكرهما حقائق واضحة مثل قولهما: «إن موقف الخلافة من المغول كان منطوياً على الضعف والتخاذل...»، وقولهما: «بلغت الخلافة ذروة ضعفها في عهد المستعصم بالله الذي وصفه المؤرخون بالغفلة وضعف الرأي وقلة العزم، وكان أخطر ما أقدم عليه الخليفة الجديد هو إهماله الجيش وإمساكه عن الإنفاق على الجند...»، وقولهما: «إن الخلفاء لم يهتموا بالأخطار التي كانت تهدد البلاد سواء من الشرق أم الغرب، على الرغم من أصوات الاستغاثة...».

لكن الطامَّة الكبرى أنهما ردَّدا ما دأب بعض كتَّاب الدرجة العاشرة ممن لا دراية لهم بالتاريخ على ذكره، مستندين إلى الرواية الشامية/ المصرية التي دُوِّنت بإشراف الشيخ ابن تيمية ومَن أحاط به من مريديه أمثال الذهبي وابن كثير وغيرهما .

فلنقرأ قول الأستاذين الفاضلين محمد حسن سهيل ومحمود محسن داود عن عهد المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين: «فازدادت الفتن في زمانه وازداد التذمر وازداد تدهور الحياة الاقتصادية، وانتشر الغلاء، وسيطر اللصوص والشطَّار والعيَّارون يسرقون أمام الشرطة وصاحبها بالتواطؤ معه؛ والخليفة لا يحاسب صاحب الشرطة ولا الوزير الذي سيطر على جميع أمور البلاد وولاياتها التي انفصلت أو استقلت، والوزير ابن العلقمي يمهِّد للانقلاب، لهذا التدهور والتذمر والافتتان، حتى يسهِّل تمرير المؤامرة لإزالة السيادة العربية وإسقاط الخلافة العباسية» (ص٥٤ من مقالهما). وقد ذكرا أنهما نقلا هذا الكلام من الكاتب سلمان التكريتي. وكنا نتمنى لو أن الأستاذين الفاضلين اختارا بعناية مصادرهما ومراجعهما بدلَ أن يتناولا أقرب كتاب تقع عليه أنظارهما ككتاب السيد سلمان التكريتي الذي أضرَّ كثيراً ـ فضلاً عن أمور أخرى ـ بمصداقية بحثهما.

● مقالة مُلَهْوَجَة[١١٢]

أخيراً، فالواضح أن مقالة الأستاذين محمد حسن سهيل ومحمود محسن داود كانت مُلَهْوَجَةً بامتياز، اعتورها النقص والاضطراب وعدم التمكن من معرفة المصادر والمراجع التي ينبغي لهما الاستناد إليها، وحتى عندما لخَّصا نصاً من الدكتور محمد القزاز فإنهما صاغاه بشكل غامض ركيك بحيث كانت جُمله متناقضة يضرب بعضها بعضاً. فلنقرأ

قولهما:«إن ابن العلقمي قد استخدمه المغول في منصبه للاستفادة منه في إدارة البلاد، لذلك تركزت هذه التهم في عنقه، وأنه لا يبرأ من تهمة التقصير والإهمال؛ والمغول لم يكونوا بحاجة إلى أن يستدعيهم العلقمي (كذا) للقضاء على الخلافة إذا عرفنا أنهم كانوا في زحف عام وفق خطة مبرمجة للسيطرة على العالم، ولم يكن تقصير الخلافة وإهمال أجهزتها كافياً لتمكين المغول من القضاء على الخلافة، بل شهدت هذه السنوات الحاسمة مظاهر كثيرة من غضب الطبيعة وقسوتها ساعدت على التفكك واستمرار الفوضى» (ص ٥٥).

فقول الأستاذين الفاضلين إن المغول «كانوا في زحف عام وفق خطة مبرمجة للسيطرة على العالم»، هو عين الصواب وهذا هو السبب الحقيقي لزحفهم على العراق وغيره، أما قولهما إن الوزير ابن العلقمي «لا يبرأ من تهمة التقصير والإهمال»، فكلام لا معنى له برغم أنهما نقلاه من الدكتور القزاز، ذلك أن المغول كانوا سيأتون لغزو العراق سواء أكان ابن العلقمي مقصراً أم غير مقصر، وثانياً إن ابن العلقمي كان موظفاً مدنياً ولم يكن قائداً للجيش، ولم يكن لديه سوى قوة حماية من الأتراك غير مخلصين له.

أما القول بأن « ابن العلقمي قد استخدمه المغول في منصبه للاستفادة منه في إدارة البلاد»، فنقول إن جهل كثير من كتَّابنا بالتاريخ وتقاعس الكثير منهم عن المطالعة أوقعهم في فضائح كانوا في غنىً عنها لو أنهم أخلصوا للبحوث العلمية.

الحقيقة هي أن هولاكو قبل أن يغادر بغداد في جمادى الأولى من سنة ٦٥٦هـ عائداً إلى بلاده ومقر ملكه[١١٣]، أوكل إدارة العراق إلى حكومةٍ (سميناها حكومة الأمر الواقع)، شُكِّلت في ظل الرعب والخوف الذي هيمن على النفوس من غير تمييز بين وزير وحاجبِ ديوان وخطيبِ جامعٍ؛ حكومةٍ مكونة من علي بهادر ـ وهو أحد القادة العسكريين ممن جاؤوا مع هولاكو وشارك مشاركة فعَّالة في الهجوم على بغداد وقَتْل سكَّانها، وكان المغول يثقون به حتى إنهم أرسلوه مع القائد قرابغا للهجوم على مدينة حديثة العراقية سنة ٦٦٠ هـ للقضاء على الخليفة العباسيّ الجديد الذي نصَّبَه بيبرس البندقداري في بلاد الشام وبعثه على رأس جيش إلى العراق لاستعادة مُلْك آبائه، فقضى هذان القائدان المغوليان (قرابغا وعلي بهادر) على أغلب أفراد ذلك الجيش وقتلا الخليفةَ الجديد وأُخذ رأسُه وطِيفَ به في بغداد والعراق[١١٤].

قامَ هولاكو بتعيين علي بهادر الخوارزمي بمنصب شِحنة بغداد[١١٥]، وكان الشحنة يعادل اليوم منصب مدير الشرطة أو مَن يُوكل إليه أَمن البلد، إلا أنه هنا أكبر من ذلك بكثير إذ يعادل منصب الحاكم العسكري العام.

كان علي بهادر مسلماً سُنِّيّاً متديِّناً وُصِفَ بأنه «حَسَنُ السياسة، مُظْهِرٌ للخير، يلازمُ الصَّلَوَات في الجُمَعِ والتَّراويح وغيرها»[١١٦]، وقد أشرك هولاكو معه في هذا المنصب قائداً آخر يدعى قرابغا، مع قوة مغولية مؤلفة من ٥٠٠٠ جندي[١١٧]، وعيَّنَ معهما جمعاً من كبار شخصيات بلاط الخليفة المغدور المستعصم ما بين حنفي وشيعي وشافعي ونصراني، ذلك أنَّ هولاكو أراد إدارة البلاد العراقية

بكادر إداري متخصص بغية استمرار تدفق الضرائب والأموال إلى الخزانة المغولية، لذا بادر إلى تكليف الكادر المتقدِّم لدى الخليفة المغدور المستعصم بالله بتلك الإدارة، وكان ابن العلقمي الإمامي واحداً منهم، وقد أورد مؤلفُ كتاب الحوادث[١١٨]، قائمةً بأسماء أغلب أفراد هذا الحشد من كبار موظفي ديوان الخليفة المستعصم وقضاته، ومنهم:

مؤيد الدين ابن العلقمي الإمامي، عُيِّنَ وزيراً. وحين توفي في مستهل جمادى الآخرة من سنة ٦٥٦هـ[١١٩]، أي بعد حوالي شهر من تعيينه، عُيِّن نجله بمنصب وزير[١٢٠].

نجم الدين عبد الغني ابن الدرنوس أكبر مستشاري الخليفة المستعصم على الإطلاق الذي كان المستعصم يعمل بما يقوله له.

فخر الدين ابن الدامغاني الحنفي الذي عُيِّن بمنصب صاحب الديوان وهو المنصب الذي كان يشغله في بلاط المستعصم. وحين توفي بعدقليلعُيِّننجلهمجدالدينمحلَّه.

تاج الدين ابن الدوامي الشافعي عُيِّن صدراً للأعمال الفراتية، وكان حاجب الباب لدى المستعصم.

نجم الدين الباجسري الذي اتصل ببعض الأمراء فأوصله إلى هولاكو الذي عيَّنه حاكماً للأعمال الشرقية، وكان يشغل منصب عامل لدى المستعصم.

قاضي قضاة المذهب الشافعي لدى المستعصم عبد المنعم البندنيجي، ذهب بنفسه إلى هولاكو فأقره على منصب القضاء.

عماد الدين عمر القزويني الشافعي[١٢١] عُيِّن نائباً للقائد العسكري قراتاي، ثم وَلِيَ العراق[١٢٢]، بعد وفاة ابن العلقمي في جمادى الآخرة سنة ٦٥٦هـ، أي بعد أربعة أشهر من تعيينه، ولكونه قد قام بكثير من أعمال الخير وأجهدَ نفسَه في القضاء على العادات السيِّئة فقد ذاع صيته ولقَّبه البغاددة بلقب «ثالث العُمَرَين[١٢٣]. وقد مدح أحدُ الشعراء عمادَ الدين هذا بأن ربط بين عَدله وعدل الخليفة عمر بن الخطاب فقال[١٢٤]:

جَمَعْتَ عَدْلاً ومعروفاً ومعرفةً
والعدْلُ ما زالَ منسوباً إلى عُمَرِ

وحين باشر هؤلاء أعمالهم عيَّنوا أشخاصاً آخرين ليديروا الحكومة معهم في ظل الاحتلال المغولي، فقد عيَّنوا الأشخاص الآتية أسماؤهم:

عيَّنوا عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي الشافعي كاتباً للسَّلَّة وهو منصب يعادل رئاسة كتَّاب ديوان الوزير. وحين توفي بعد مدة قصيرة، عيَّنوا محلَّه:ابن الجمل النصراني.

كما عيَّنوا عز الدين الموسوي وهو إمامي نائباً للشرطة.

عيَّنوا المبارك ابن المخرمي الحنبلي بمنصب حاكم للدجيل والمستنصري.

عيَّنوا شيخ الأئمة عبد الصمد بن أبي الجيش الحنبلي إمام مسجد قمرية بمنصب خازن الديوان.

وهناك تعيينات أخرى قدَّمنا تفاصيل وافية بها في كتابنا إعادة كتابة التاريخ (الصفحات ١٤٠ ـ ١٤٥).

● الهوامش

(١) صدرت طبعته الأولى عن دار الوسط في لندن سنة ٢٠٠٩م وكان عنوانه هو إعادة كتابة التاريخ، إسقاط الخلافة العباسية إنموذجاً، ثم صدرت الثانية عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

(٢) هذا وهْمٌ من الأستاذ سلمان، ذلك أن أولى حملات جنكيز خان انطلقت سنة ٦١٥هـ للانتقام من ملك خوارزم الذي أمر بقتل التجار القادمين من بلاد جنكيز خان (ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١/ ص١٧٠ (الطبعة الفارسية، وفي ج١/ص١٠٠ من ترجمته العربية المعنوَنة تاريخ فاتح العالَم).

(٣) التكريتي ، مدينة السلام وغزو المغول، ص ١٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٦ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤٨ .

(٦) المصدر نفسه، ص١٤٩ .

(٧) المصدر نفسه، ص١٨٠ .

(٨)عن مولده ووفاته، ينظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، ج١/ص٢٣١، ٢٣٣، ٣٨٧ ـ ٣٨٨؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ٤(٢)/ص٥٥٦ (ط جواد).

(٩) ولد هولاكو سنة٦١٥هـ، ومات سنة ٦٦٣هـ. واستندنا في تحديد مولده إلى رشيد الدين (جامع التواريخ، ج٢/ص٧٣٦)، الذي قال: كان له ٤٨ سنة حين وفاته.

(١٠) التكريتي ، بغداد مدينة السلام وغزو المغول، ص ١٢٨ .

(١١) التكريتي، ابن العلقمي أمام التاريخ، ص ٣١- ٣٦ .

(١٢) التكريتي ،بغداد مدينة السلام وغزو المغول، ص ١٦٩ .

(١٣) المصدر نفسه والصفحة، ابن العلقمي أمام التاريخ ص ٣٢،٤٣،٧٥ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص١٩٦ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص١٨٨ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .

(١٨) عن مختصر سيرة رشيدالدين والتعريف بكتابه جامع التواريخ ينظر: الهادي، مقدمة الترجمة العربية القديمة لكتابه هذا (أيا صوفيا)، الصفحات٢٠ - ٤٩.

(١٩)وُلد السلطان محمود غازان سنة ٦٧٠هـ، وتوفى سنة ٧٠٣هـ. واستندنا في تحديد مولده إلى رشيد الدين (جامع التواريخ، ج٢/ص٨٤٢)، الذي ذكره باليوم والشهر.

(٢٠) التكريتي، بغداد مدينة السلام...، ص١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢١) التكريتي، ابن العلقمي أمام التاريخ، ص ٨٢ .

(٢٢) التكريتي، المصدر نفسه ص ١٢ - ٥٢ .

(٢٣) التكريتي، المصدر نفسه ص ٧١ .

(٢٤) التكريتي، بغداد مدينة السلام ...ص ١٢٨، ١٣٠، ١٣٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧١، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢...، التكريتي، ابن العلقمي أمام التاريخ، ص ١٢، ٢٦، ٣٣، ٥٢، ٦٠، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٨٠.

(٢٥) ابن الطِّقْطَقَى، الفخري، ص٣٣٧.

(٢٦) ياقوت، معجم البلدان، ج٤/ص٨٦١. وهي ناحية ما تزال تحمل الاسم نفسه، تقع إلى الشمال من مدينة الحلة وتابعة لها إدارياً.

(٢٧) ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب،م ٤(٤)/ ص٨١٢ (ط جواد).

(٢٨) المصدر نفسه، ٤(١)/ص٥٦٠، الترجمة ص ٨١٤ (ط جواد).

(٢٩) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج ٤٨/ص٢٩٢.

(٣٠) الأشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٦٤٠.

(٣١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨/ص٧٤٧ (ط حيدر آباد)، وفي ج ١٥/ص١٢٩ (ط الدكتور كامل الجبوري).

(٣٢) المصدر نفسه، ج٨/ص٧٦٢ (ط حيدر آباد)، وفي ج١٥/ص١٤٥ (ط الدكتور كامل الجبوري).

(٣٣) ابن الطِّقْطَقَى، الفخري،ص ٣٣٨.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٣٣٨.

(٣٥) الإيجي، تحفة الفقير، الورقة ٢٧٩ب.

(٣٦) ينظر مثلاً: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢٤٧، ٢٧١، ٢٩٣، ٣٠٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١/ ص١٥١.

(٣٧) المقريـزي، المقفـى الكبـير،ج١/ص٦١٢: أكرمَ

المستعصمُ السامَرِّيَّ «لشدة عناية الوزير به، فإنه كان من خواصِّهِ».

(٣٨) الموسوي الدمشقي، مقدمة كتاب المختصر في اخبار مشاهير الطالبية والأئمة الاثني عشر، ص١٨ .

(٣٩) «فخرج الوزيرُ من ذلك»: حاول الاعتذار عن قبول مهمة الذهاب إلى هولاكو.

(٤٠) ابن الطقطقى، الفخري،ص ٣٣٨.

(٤١) رشيد الدين، جامع التواريخ، ج٢/ص٧١١ (الطبعة الفارسية)، ٢(١)/ص ٢٨٨ (الترجمة العربية).

(٤٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٣٢-٤٨ ؛ مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٤٩.

(٤٣) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٠٧.

(٤٤) أو زنكياباد: ولاية تقع إلى الغرب من خانقين (حمد الله المستوفي، نزهة القلوب،ص ٤١).

(٤٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨/ص٦١٩ (ط حيدر آباد)، وفي ج١٤/ص٦١٠ (ط الدكتور كامل الجبوري)؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،ص ٤٣٨.

(٤٦) فصَّل ابن طاووس خبر هذه الوقائع والاتصالات في كتابه كشف المحجة لثمرة المهجة،ص ١٤٦ ـ ١٤٨ .

(٤٧) مجهول، كتاب الحوادث، ص٥٥، ٥٧، ٨١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٦/ ص٤٦.

(٤٨) مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٤٧.

(٤٩) ابن الكازروني، «مقامة في قواعد بغداد»،ص ٤٣٣ ـــ ٤٣٤.

(٥٠) مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٤٢. وحامل المطالعات والكتب هو عمر بن جلدك المطالعاتي.

(٥١) ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٤(٣)/ ص٩٩ (ط جواد).

(٥٢) الأشرف الغساني، العسجد المسبوك،ص ٦٣٣. انظر أيضاً: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢٢٤.

(٥٣) ابن الطِّقْطَقَى، الفخري، ص٣٧.

(٥٤) الذهبي، تاريخ الإسلام،ج ٤٨/ص٢٥٩ ـــ ٢٦٠، سير أعلام النبلاء،ج ٢٣/ص١٧٥.

(٥٥) البرَّاجون: المشرفون على الأبراج وهي الأقفاص التي توضع فيها الطيور. وما يزال اسم البرج يُستعمَل بهذا المعنى لدى مُربِّي الطيور عندنا في العراق.

(٥٦) مجهول، كتاب الحوادث، ص٤٤٣. وقد علَّق محقِّقاه العالِمان الدكتور بشار عواد معروف والدكتور عماد عبد السلام رؤوف بهامشه على اختيار المستعصم لسُوقيٍّ كهذا لذلك المنصب الخطير: «وهو مما انتُقِدَ عليه المستعصم رحمه الله، ودُلِّلَ به على سوء تصرُّفه وإهماله لأمور الدولة والاعتماد على مثل هؤلاء السُّوقة في إدارة شؤونها الخطيرة».

(٥٧) مجهول، كتاب الحوادث، ص٤٥٩، حيث أورد كاتبُه شعراً بهذا الشأن.

(٥٨) هِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ ، تجارب السلف، ص ٣٥٥، نيكبي، تاريخ ، الورقة ٤٥٩ ب .

(٥٩) كما يقول الذهبي في تاريخ الإسلام، ج٤٨/ ص٢٥٩.

(٦٠) خلاصة الذهب المسبوك، مختصر من سير الملوك، ص٢١٥.

(٦١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/ص٢٣٣؛ مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٥٥؛ وردت هذه الواقعة في عيون التواريخ لابن شاكر ، ج٢٠/ص١٣٣؛ وعقد الجمان للعيني (ص ١٧١، الجزء الخاص بحوادث السنوات ص ٦٤٨ ـــ ٦٦٤هـ).

(٦٢) هِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ، تجارب السلف،ص ٣٥٦.

(٦٣) درتنك: عرَّفَ بها العزاوي بقوله: «كانت أيام الخلافة وما بعدها تُعَدُّ من ألوية بغداد، واحتفظت بذلك إلى أيام السلطان سليمان القانوني وبعدها؛ واليوم بيد إيران» (تاريخ العراق بين احتلالين، ج١/ص١٦٣). وهي مدينة حُلْوان (تعاليق الدكتور طبيبي على كتاب تحفه ناصري، ص٤٦٣)، يقول حمدُ الله المستوفي عنها (نزهة القلوب،ص ٢٨):«الحَدُّ الَّذي يبدأ منها عُرض العراق لينتهي بالقادسية المحاذية لصحراء نجد»؛ وهذا دالٌّ على سعة المساحة التي كان يمكن أن تشتِّت جهد القوات المغولية لو أنَّ الخليفة وافق على تلك الخطة.

(٦٤) رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، ج٢/

ص٧٠٥.
(٦٥) أخبار مقتله وتحريض لؤلؤ على قتله، لدى: ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥/ص٥٠، ج ٦/ص٢٤٤ ـ ٢٤٥؛ ابن الجَزَرِيّ، تاريخ حوادث الزَّمَان (اختيار الذهبي)، ص٢٤٧؛ الذهبي، العبر، ج٥/ص٢٣٦؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٢٧/ص٢٤٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥/ص٨٨؛ ابن شاكر، عيون التواريخ، ٢٠/٢٠٣ ـ ٢٠٤. «وبنو الصلايا من الأسر العلوية الجليلة» (ابن عنبة، عمدة الطالب، ٣٥٠)؛ لتفاصيل أوفى، انظر: الهادي، إعادة كتابة التاريخ، ص١٤٨ ـ ١٤٩.
(٦٦) عن استيلاء المستعصم على وديعته، انظر مثلاً: ابن واصل، مفرج الكروب،ج ٦/ص ٧٨، ١٨٣ ـــ ١٨٦، ١٩١ ـــ ١٩٣؛ قرطاي العزي، تاريخ مجموع النوادر، ٩٩ ـــ ١٠٠؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢/ص١٧٩؛ ابن الوردي في تاريخه،ج٢/ص١٧٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٨/٢٦؛ ابن شاكر، عيون التواريخ، ٢٠/٩٣؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج٢/ص١١٥؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ١١٣؛ العيني، عقد الجمان (٦٤٨ ـــ ٦٦٤هـ)، ١٢٠؛ ابن أبي عذيبة، إنسان العيون، ٣٣٨؛ ابن الحريري، منتخب الزمان، ج٢/ص٣٤٧؛ ابن سباط، صدق الأخبار، ج ١/ ص٣٦٤. وهو الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود بن عيسى بن محمد بن أيوب الحنفي.
(٦٧) مجهول، كتاب الحوادث،ص٣٥٠؛ ابن شاكر، عيون التواريخ، ج٢٠/ص١٢٩.
(٦٨) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٢٧٢.
(٦٩) كما يقول ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ج٤/ص٦٩ (ط الهند)،ج ٤/ص٣٥٩ (ط الكاظم)؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ج٢/ص٧١١ (الطبعة الفارسية)؛ ٢(١)/ص٢٨٨ (الترجمة العربية)؛ الهادي، إعادة كتابة التاريخ (الطبعة الثانية)، ص١١٠ ـ ١١١.
(٧٠) رشيد الدين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١١ (الطبعة الفارسية)؛ ٢(١)/٢٨٩ (الترجمة العربية)؛ انظر تفاصيل أُخر لدى ابن العبري في تاريخ مختصر الدول، ٤٧٤؛ الهادي، إعادة كتابة التاريخ (الطبعة الثانية)، ١٢٢.
(٧١) رشيد الدين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١٢ (الطبعة الفارسية)؛ ٢(١)/٢٩٠ (الترجمة العربية).
(٧٢) ابن العبري، تاريخ الزمان، ٣٠٧ ـــ ٣٠٨.
(٧٣) رشيد الدين، جامع التواريخ، ٢/٧١٢، (الطبعة الفارسية)؛ ٢(١)/٢٩٠ ـــ ٢٩١، (الترجمة العربية).
(٧٤) التكريتي، بغداد مدينة السلام، ٩١.
(٧٥) المصدر نفسه، ١٩٦.
(٧٦) التكريتي، ابن العلقمي أمام التاريخ، ص٣٨.
(٧٧) انظر كلام ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب، ٤(١)/ص٤٤٤ (ط جواد)، ج١/٤١١ ـــ ٤١٢(ط الكاظم). وهو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي الشافعي، يُعرَف بالمطرزي المتوفى سنة ٧٥٦هـ.
(٧٨) التكريتي، ابن العلقمي أمام التاريخ، ص ٧٥.
(٧٩) التكريتي، ابن العلقمي أمام التاريخ، ص٧٦.
(٨٠) النويري، نهاية الأرب، ج٢٧ / ص٢٥٨ .
(٨١) التكريتي، ابن العلقمي أمام التاريخ، ص٧٧.
(٨٢) عن تحديدنا ولادة رشيدالدين بسنة ٦٤٨ هـ وليس ٦٤٥ هـ ، انظر مقدمتنا للترجمة العربية القديمة لكتاب جامع التواريخ (مخطوطة أيا صوفيا)،الصفحة «العشرون» .
(٨٣) سنذكر فيما بعد واقعة مقتله ومصدرها .
(٨٤) التكريتي، ابن العلقمي أمام التاريخ، ص٤١،٤٠.
(٨٥) الدستور: الأمر أو المرسوم.
(٨٦) معلومهم: رواتبهم.
(٨٧) نقاوة العسكر: قوات النخبة في الجيش.
(٨٨) أي أنهم كانوا يعادلون من حيث الكفاءة القتالية مئتي ألف فارس.
(٨٩) ابن دقماق، الجوهر الثمين،ج١/ص٢٢٠ ـــ ٢٢١، نزهة الأنام، ص٢٣٤.
(٩٠) ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج١/ص٢٣٢؛ حافظ أبرو، الجغرافيا، ج٢/ص٦٢ ـــ ٦٣؛ الديار بكري، الخميس في أحوال أنفس نفيس،ج ٢/ص٤٢٠.
(٩١) مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٤٧.
(٩٢) كما يقول ابن كثير في البداية والنهاية، ج١٣/ ص٢٣٦.
(٩٣) عن أسماء بعض هؤلاء الوعاظ الحنابلة في زمن الخليفة المستعصم، انظر مثلاً: الأشرف الغساني، العسجد المسبوك،ص ٥٥١؛ مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٦٢، ٤٦٣،٤٣٣؛ البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٥٧٣.
(٩٤) من ترجمته الواردة في تلخيص مجمع الآداب، ج٥/ص٩٨ (ط طهران). بتقدُّم من المستعصم: بأمر من المستعصم.
(٩٥) مجهول، كتاب الحوادث، ص١٥٧.
(٩٦) التكريتي، بغداد مدينة السلام...،ص ١٣٨ ـ ١٤٣.
(٩٧) جواد، في التراث العربي، ج١/ص٥٨٩.

(٩٨) الدكتور بشار عواد معروف، مقدمته لتاريخ الإسلام للذهبي، ج١/ص٦١، ٢٠٧.
(٩٩) الذهبي، معجم الشيوخ،ج ١/ص٥٦.
(١٠٠) ابن ناصر الدين، الرد الوافر،ص ٣٥.
(١٠١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/ص٢٩٠؛ السيوطي، ما رواه الواعون في الطاعون، الورقة ٢٥أ.
(١٠٢) ابن كثير، طبقات الفقهاء الشافعيين، الورقة ٦٥أ.
(١٠٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/ص١٧٨.
(١٠٤) الغامدي، سقوط الدولة العباسية،ص ٣٤٢.
(١٠٥) الآقسرائي، مسامرة الأخبار،ص ٤٨.
(١٠٦) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٧٤؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ج٢/ص٧١٣، (الطبعة الفارسية)، ٢(١)/ص٢٩٣ (العربية).
(١٠٧) الزَّنْجانيّ: محمود بن أحمد قاضي القضاة. تُرجم في جميع كتب طبقات الفقهاء والعلماء الشافعية.
(١٠٨) تُرجم في كتاب الحوادث ص ٣٩٦، وفيه: «القاضي فخر الدين عبد الله بن عبد الجليل الطهراني الرازي الحنفي، استنابه أقضى القضاة نظام الدين البندنيجي في القضاء، وفوَّض إليه أمر الحسبة ببغداد»، أي أنه حصل على منصب رسمي أيضاً في ظل الحكم المغولي للعراق.
(١٠٩) ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٤(٣)/ ص١٩٥ (ط جواد)، وفي ج٣/ص٣٨ (ط الكاظم).
(١١٠) صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في القاهرة سنة ١٩٤٦م، وأُعيد طبعه سنة ١٩٩٩م، ولم يُغَيَّر فيه ولا سطر واحد، ضمن «سلسلة الألف كتاب (الثاني)، الأعمال المختارة، نافذة على الثقافة العالمية» ، تحت عنوان: محنة الإسلام الكبرى، أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول.
(١١١) حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٤/ص١٦٢.
(١١٢) في لسان العرب «لهجَ» : «لَهْوَجَ الشيءَ: خَلَطَه؛ و لَهْوَجَ الأمر لم يُحْكِمْهُ ولم يُبْرِمْهُ؛ ابن السكِّيت: طعامٌ مُلَهْوَجٌ ومُلَغْوَسٌ، وهو الذي لَم ينضج». والكلمة مستعملة في عامِّيتنا العراقية.
(١١٣) مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٦١.
(١١٤) انظر تفاصيل كل ذلك لدى الصقاعي في تالي كتاب وفيات الأعيان، ص٢ ـ ٣.
(١١٥) رشيد الدين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١٤ (الطبعة الفارسية)، وفي ٢(١)/ ٢٩٥ الترجمة العربية)؛ وَصَّافُ الحَضْرة، تجزية الأمصار، الورقة ٥٧.
(١١٦) مجهول، كتاب الحوادث، ٣٨١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٨/ ٨٥.
(١١٧) ابن العسّال، النهج السديد، ص٩٩. وفيه؛ «بهادر و علي الخوارزمي»، والصواب حذف الواو .
(١١٨) مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٦١- ٣٦٢ .
(١١٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣/ص٣٧٢ .وهذا التاريخ يتفق مع ماذكره مؤلف كتاب الحوادث، ص٣٦٢ .
(١٢٠) مجهول، كتاب الحوادث،ص٣٦٢ ، ابن الطقطقي، الفخري،ص٣٣٨، حيث قال إن الوزير «مكث شهوراً ثم مرض ومات في جمادى الاولى» ،وهو من سهو القلم، والصواب ماورد في كتاب الحوادث آنفاً، فهولاكو غادر بغداد في جمادى الاولى بعد ان شكّل الحكومة بقيادة علي بهادر ، وابن العلقمي مات في مستهل جمادى الآخرة من السنة نفسها ، ولأصحة ايضاً لما قاله السبكي في طبقات الشافعية الكبرى، ج٨/ ص٢٧٣، من انه مات بعد أشهر يسيرة .
(١٢١) استناداً إلى ابن الفوطي (تلخيص مجمع الآداب، ج٢/ص١٢٦، ط طهران)، الذي قال في ترجمة عماد الدين هذا: «كان من أعيان قزوين المعروفين بمتانة الدين، وحُسن اليقين»، وكَون أهل قزوين «شافعية بأسرهم وليس فيها من الحَنَفيّة إلا ما يعادل الواحد بالألف من سكانها» كما يقول المواطن القَزْوينيّ حمدُ الله المستوفي (انظر: نوائي، مقدمته لكتاب تاريخ گزيده، ص (يج)، نقلاً من مخطوطة كتاب ظفرنامه للمستوفي أيضاً)، فقد ارتأينا أنه شافعي المذهب.
(١٢٢) حمد الله المستـــوفي، تاريـــخ گزيده، ٨٠٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤/ص٥٨؛ مجهول، كتاب الحوادث،ص ٣٦٥.
(١٢٣) حمد الله المستوفي، تاريخ گزيده، ٨٠٩ .
(١٢٤) انظر القصيدة والثناء الذي اثنى به عليه المؤرخ ابن الفوطي وما قام به من أعمال ترميم وعمران لما خُرِّب خلال الغزو المغولي في تلخيص مجمع الآداب، ٤(٢)/ ٨٠١ ـ ٨٠٢ (ط جواد).

● **المصادر**

المخطوطة

١. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣ ـــ ٨٥٢هـ)، ما رواه الواعون في الطاعون (اختصار جلال الدين السيوطي)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، تحت الرقم ٧٦١١.
٢. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي (٧٠١ ـــ ٧٧٤هـ)، طبقات الفقهاء الشافعيين، مخطوطة مكتبة جامعة برنستون، الرقم ٤٩٩٣.
٣. الإيجي، محمد بن إبراهيم (توفي بعد ٨٤٠هـ)، تحفة

الفقير لصاحب السرير، نسخة محفوظة بمكتبة أثر خانه والده خديجة ملكانه في تركيا تحت الرقم ٢٣١.
٤. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله الكاتب الجلبي (١٠١٧ ـــ ١٠٦٧هـ)، تقويم التواريخ: مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، طهران، الرقم ٤٧٧٢.
٥. مير خواند، مُحَمَّد بن خاوند شاه بن محمود بن كمال الدين الخوارزميّ الحسينيّ (٨٣٧ ـ ٩٠٣هـ)، روضة الصفاء في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، تحت الرقم ٢٣٠٤، المجلد ٥.
٦. وصَّاف الحَضْرَة، عبد الله بن فضل الشِّيرازيّ (٦٦٣ ـ ٧٣٠هـ)، تجزيةُ الأمصار وتَزْجيةُ الأعصار، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، تحت الرقم ١١٨ط.

المطبوعة ـ العَرَبيَّة

٧. ابن أبي عُذَيبَة، أحمد بن مُحَمَّد بن عمر المقدسيّ الشَّافِعِيّ (٨١٩ ـ ٨٥٦هـ)، إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، تحقيق الدكتور إحسان ذَنُون الثامري والدكتور مُحَمَّد عبد الله القَدَحات، دار وَرْد، عَمَّان، ٢٠٠٠م.
٨. ابن أبي الفضائل، المفضَّل القِبطي المصري (توفي بعد ٧٥٩هـ)،النهج السديد والدر الفريد في ما بعد تأريخ ابن العميد، تحقيق إدغار بلوشيه، مجموعة الآباء الشرقيين، باريس، ١٩١٩م.
٩. ابن باطيش، إسماعيل بن هبة الله بن مُحَمَّد الموصليّ الشَّافِعِيّ (٥٧٥ ـ ٦٥٥هـ)، التمييزُ والفَصْل بين المتَّفق في الخَط والنُّقط والشَّكل، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العَرَبيَّة للكتاب، تونس، ١٩٨٣م.
١٠. ابن الجَزَريّ، شمس الدين مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر القَرَشيّ الدِّمَشقيّ (٦٥٨ ـ ٧٣٩هـ)، تأريخ حوادث الزَّمَان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه(اختيار الذَّهَبيّ)، تحقيق خضير عباس مُحَمَّد خليفة المنشداويّ، دار الكتاب العَرَبيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١١. ابن الحريريّ، أحمد بن عَليّ بن المغربيّ (كان حياً سنة ٩٢٦هـ)، منتخب الزَّمَان في تاريخ الخلفاء والعلماء والأعيان، تحقيق عبده خليفة، دار عشتار، بيروت، ١٩٩٣م.
١٢. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي الحنفي (٧٥٠ ـ ٨٠٩هـ)، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
١٣. ابن دقماق، نزهة الأنام في تأريخ الإسلام، دراسة وتحقيق الدكتور سمير طَبَّارة، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٤. ابن سبَاط، حمزة بن أحمد بن عمر الغربيّ (توفي بُعَيد ٩٢٦هـ)، صدق الأخبار، جروس برس، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١٥. ابن شاكر، مُحَمَّد بن شاكر بن أحمد الكتبيّ الدارانيّ الدِّمَشقيّ الشَّافِعِيّ (٦٨١ ـ ٧٦٤هـ)، عيون التواريخ، تحقيق الدكتور فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد، ١٩٨٠م.
١٦. ابن الطِّقْطَقَى ، مُحَمَّد بن عَليّ بن طَباطَبا العلويّ الإمامي (توفي في حدود سنة ٧٢٠هـ)، الفَخْريّ في الآداب السلطانيَّة والدول الإسلاميَّة، دار صادر، بيروت.
١٧. ابن العِبْريّ، جمال الدين غريغوريوس بن أهرون المَلطيّ (٦٢٣ ـ ٦٨٥هـ)، تاريخ الزَّمَان، تَرْجَمَة الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
١٨. ابن العِبْريّ، تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب أنطون صالحَاني اليسوعيّ، دار الرائد اللبنانيِّ، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٩. ابن عِنَبَة الحسينيّ، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق مُحَمَّد حسن آل الطالقاني، المكتبة الحيدرية، النَّجَف الأشرف، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
٢٠. ابن فضل الله العُمَريّ، أحمد بن يحيى القُرَشيّ الدِّمَشقيّ الشَّافِعِيّ (٧٠٠ ـ ٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حقَّق بعض أسفاره وأشرف على تحقيقه الدكتور كامل سلمان الجُبُوريّ بالاشتراك مع الأستاذ مهدي النَّجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٢١. ابن الفُوَطِيّ، عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الشَّيباني الحنبلي (٦٤٢ ـ ٧٢٣هـ)، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية، دمشق، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧م. واستندنا أيضاً إلى الطبعة التي حقَّقها مُحَمَّد الكاظم، ونشرتها وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية في طهران، ١٤١٧هـ.
٢٢. ابن الكازَرُونيّ، ظهير الدين عَليّ بن مُحَمَّد بن محمود البَغْدَادِيّ الشَّافِعِيّ (٦١١ ـ ٦٩٧هـ)، مختصر التاريخ من أول الزَّمَان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٠م.
٢٣. ابن الكازروني، ظهير الدين، «مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية»، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.
٢٤. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القُرَشيّ الدِّمَشقيّ الشَّافِعِيّ (٧٠١ ـ ٧٧٤هـ)، البداية

والنهاية، تحقيق عَليّ شيري، دار إحياء التراث العَرَبيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. كما استفدنا من الطبعة التي أشرف على تحقيقها الشيخ الأرناؤوط والدكتور بشار عواد معروف الصادرة عن وزارة الأوقاف القطرية سنة ٢٠١٥م.
٢٥. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٦٣٠ ـــ ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.
٢٦. ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي الشافعي (٧٧٧ ـــ ٨٤٢هـ)، الردُّ الوافر على مَن زَعَمَ أنَّ مَن سمَّى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، تحقيق زهير شاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٣هـ.
٢٧. ابن واصل، مُحَمَّد بن سالم بن واصل المازنيّ التَّميميّ الحَمَويّ الشَّافِعِيّ (٦٠٤ ـ ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٤، تحقيق الكتور حسنين محمد ربيع، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م، ج٥، تحقيق الدكتور حسنين محمد ربيع، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٧م، ج٦، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمريّ، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٢٨. ابن الورديّ، عمر بن مظفر بن عمر الشَّافِعِيّ (٦٩١ ـ ٧٤٩هـ)، تتمة المختصر المعروف بتأريخ ابن الورديّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٢٩. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عَليّ بن محمود، الملك المؤيد صاحب حَماة الشَّافِعِيّ (٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، مكتبة المثنى، القاهرة.
٣٠. الأشرف الغَسَّانيّ، إسماعيل بن العباس بن رسول(٧٦١ ـ ٨٠٣هـ)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلاميّ ودار البيان، بغداد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٣١. الأعسم، الدكتور عبد الأمير، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.
٣٢. الجُوَيْنيّ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين مُحَمَّد (٦٢٣ ـ ٦٨١هـ)، تاريخ فاتح العالم، تَرْجَمَة الدكتور مُحَمَّد ألتونجي، دار الملاّح، دمشق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٣٣. خصباك، الدكتور جعفر حسين (١٩٢٢ ـ ١٩٩٤م)، العراق في عهد المغول الإيلخانيين، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨م.
٣٤. الدِّياربَكْريّ، الحسين بن مُحَمَّد المالكيّ (توفى سنة ٩٦٦هـ)، الخميس في أحوال أنفس نفيس، المطبعة العُثْمَانيّة، القاهرة، ١٣٠٢هـ.
٣٥. الذَّهَبيّ، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمريّ، دار الكتاب العَرَبيّ، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. واستندنا أيضاً إلى طبعة دار الغرب الإسلاميّ التي حقَّقها الدكتور بشَّار عوَّاد معروف وصدرت في بيروت سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣٦. الذَّهَبيّ، شمس الدين، دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مَرْوَة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.
٣٧. الذَّهَبيّ، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين، بيروت، ١٤٠١هـ.
٣٨. الذَّهَبيّ، شمس الدين، العبر في خبر مَن غَبَر، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجِّد، مطبعة الحكومة، الكويت، ١٩٨٤م.
٣٩. رشيد الدين الهَمَذَانيّ، جامع التواريخ، تأريخ المغول، الإيلخانيون، تأريخ أبناء هُولاكُو، تأريخ المغول: الإيلخانيون، تأريخ هُولاكُو (المجلد الثاني ـ الجزءان الأول والثاني)، تَرْجَمَة مُحَمَّد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي والدكتور فؤاد الصياد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠م.
٤٠. سِبط ابن الجوزي، يوسف بن قز أوغلي البغدادي الحنبلي الحنفي (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٥١ ـ ١٩٥٢م. كما استفدنا من الطبعة التي حققها الدكتور كامل سلمان الجبوري وأصدرتها دار الكتب العلمية ببيروت سنة ٢٠١٣م.
٤١. سِبْط ابن قنينو الإربلي، بدر الدين عبد الرحمن بن إبراهيم (٦٣٨ ـ ٧١٧هـ)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، مطبعة القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس، بيروت، ١٨٨٥م.
٤٢. السُّبْكيّ ، عبد الوهاب بن عَليّ بن عبد الكافي الشَّافِعِيّ (٧٢٧ ـ ٧٧١هـ)، طبقات الشَّافِعِيَّة الكبرى: تحقيق عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو ومحمود الطناحي، مصر، ١٩٩٢م.
٤٣. الصَّفَديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك الشَّافِعِيّ (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة محققين، طبعت أجزاؤه في بيروت وفيسبادن في سنوات مختلفة.
٤٤. العَزَّاويّ، عباس بن محمد بن ثامر (١٨٩٠ ـــ ١٩٧١م)، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م.
٤٥. عمارة، الدكتور محمد، فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية، وزارة الأوقاف في جمهورية مصر العربية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٤٢، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٤٦. العَيْنيّ، بدر الدين، عِقْد الجُمان في تاريخ أهل الزَّمَان، الجزء الخاص بحوادث ٦٤٨ ـ ٦٦٤هـ، تحقيق الدكتور مُحَمَّد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٤٧. الغامديّ، الدكتور سعد بن مُحَمَّد حُذيفة، سقوط الدولة العَبَّاسِيَّة ودور الشِّيعَة بين الحقيقة والاتهام، دار ابن حذيفة، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٤٨. قَرطاي العِزِّي الخَزَنْداريّ (توفي بعد سنة ٧٠٨هـ)، تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمريّ، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٤٩. القَلْقَشَنْديّ، أحمد بن عَليّ بن أحمد الفزاريّ القاهريّ الشَّافِعِيّ (٧٥٦ ـ ٨٢١هـ)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فرَّاج، عالم الكتب، بيروت.
٥٠. مجهول، كتاب الحوادث، أرَّخ فيه الوقائع حتى سنة ٧٠٠هـ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف والدكتور عماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٧م.
٥١. مجهول، مختصر أخبار الخلفاء: منسوب إلى عَليّ بن أنْجَب ابن الساعي البَغْدَادِيّ الشَّافِعِيّ، وهو ليس له جَزماً، المطبعة الأميريَّة في بُولاق، القاهرة، ١٣٠٩هـ. أثبتنا عدم صحة نسبته إلى ابن الساعي في مقالنا: هل من صلة بين كتاب مختصر أخبار الخلفاء وابن الساعي؟ في مجلة العرب (المملكة العَرَبِيَّة السعوديَّة، العددان ١، ٢، السنة ٤٦، يونيو وحزيران وتموز ٢٠١٠).
٥٢. معروف، الدكتور بشار عوَّاد العُبَيْديّ، «الغزو المغولي كما صوَّره ياقوت الحموي»، بحث منشورة في مجلة الأقلام العراقية، السنة الأولى، الجزء ١٢، ربيع الثاني ١٣٨٥.
٥٣. معروف، الدكتور بشار عوَّاد، والسرحان، الدكتور محيي هلال، تعاليقهما على كتاب سير أعلام النبلاء، ج٢٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٥٤. المقريزي، تقي الدين أحمد بن عَليّ بن عبد القادر الحَنَفيّ ثُمَّ الشَّافِعِيّ (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ)، الذهب المسبوك في ذكر مَن حجَّ من الخلفاء والملوك، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٥٥. المقريزي، كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٥٦. النُّوَيْريّ، أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد البَكريّ الشَّافِعِيّ (٦٧٧ ـ ٧٣٣هـ)، نهاية الأرَب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة وآخرين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
٥٧. الهادي، يوسف، إعادة كتابة التاريخ، الغزو المَغُوليّ للعراق أنموذجاً، الطبعة الثانية، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م؛ وكانت طبعته الأولى قد صدرت عن دار الوسط في لندن سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م تحت عنوان إعادة كتابة التاريخ، إسقاط الخلافة العَبَّاسِيَّة أنموذجاً.
٥٨. ياقوت بن عبد الله الحَمَويّ الرُّوميّ (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، تحقيق فرديناند وستنفلد، لايبزك، ١٨٦٩م.
٥٩. اليُونينيّ، موسى بن مُحَمَّد بن أحمد البَعْلَبَكيّ الحَنْبَلِيّ (٦٤٠ ـ ٧٢٦هـ)، ذيل مرآة الزَّمَان، حيدر آباد الدكن، ١٣٧٤ ـ ١٣٧٥هـ/١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م.

الفارسيَّة

٦٠. الآقْسَرَائيّ، كريم الدين محمود بن مُحَمَّد (توفي في الفترة ما بين ٧٢٣ و٧٣٣ هـ)، مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار، تحقيق الدكتور عثمان توران، أنقرة، ١٩٤٣م.
٦١. الجُوَيْنيّ، علاء الدين عَطَا مَلِك بن بهاء الدين مُحَمَّد (٦٢٣ ـ ٦٨١هـ)، تاريخ جَهَانْگُشَاي، تحقيق شاهْرُخ موسويَّان، استناداً إلى الطبعة التي حققها مُحَمَّد بن عبد الوهاب قزويني، نشر دستان، طهران، ٢٠٠٦م.
٦٢. حَمْدُ الله المُسْتَوفِي، حَمْد بن أبي بكر بن حَمْد الرِّياحيّ القَزْوينيّ الشَّافِعِيّ (ت ٧٥٠هـ)، تاريخ گزيده، تحقيق الدكتور عبد الحسين نوائي، نشر أمير كبير، طهران، ١٩٨٣م.
٦٣. حَمْدُ اللهِ المُسْتَوفِي، نزهة القلوب، تحقيق غاي لسترنج، ليدن، ١٩١٥م.
٦٤. رشيد الدين الهَمَذَانيّ، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة عالي بن أبي شجاع الشَّافِعِيّ (٦٤٨ ـ ٧١٨هـ)، جامع التواريخ (تاريخ المغول)، تحقيق الدكتور بهمن كريمي، نشر إقبال، طهران، ١٩٨٣م.
٦٥. مِنْهَاج سِرَاج، منهاج الدين عثمان بن سِراج الدِّين الجَوْزَجَانيّ، ولقَّبَ نفسَه بـ «الناصر لأهل السنَّة والجماعة» (توفي في ٦٦٠هـ)، طبقات ناصري، تحقيق عبد الحي حبيبي، طهران، ١٩٨٤م.
٦٦. النَّطَنْزيّ، معين الدين (انتهى من تأليف كتابه سنة ٨١٧هـ)، منتخب التواريخ معيني، تحقيق بروين إستخري، انتشارات أساطير، طهران، ٢٠٠٤م.
٦٧. هِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ، ابن سنجر بن عبد الله الصاحبي الجيراني الشَّافِعِيّ (كان ما يزال يُدَوِّن كتابه هذا سنة ٧٢٤هـ)، تجارب السَّلَف، تحقيق عباس إقبال، كتابخانه طهوري، طهران، ١٩٧٩م.

The Mongol invasion of Iraq
in 656 AH / 1258 AD:
Facts and illusions

By: Yousef Al Hadi
Researcher in history and Islamic heritage

Abstract

This research discusses at length what has been published studies on the Mongol invasion of Iraq. And stands specifically when studying the same subject had been published in the magazine (AL- MAWRID) in the first issue in 2013 Later on, the discussion of this research is a subject for discussion, as it is found that the authors have missed a lot of sources and that they stopped at a few sources, which were mostly sources of contemporary, And did not make an effort to investigate the subject by returning to the original sources of old, which had to change many of the ideas put by the researchers if they relied on them.

This research dealt with the historical background that the Mongols achieved through the possession of the brute force to crawl to various cities and countries and occupy them down to Baghdad, which fell in their hands in 656 AH. Objectively discussing the reasons led to that terrible Mongol occupation.